

جلال معاش

دار العلوم
للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع

مؤسسة الإمامة

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

فاجعة البقيع

الطبعة الأولى

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م



المكتب : حارة حريك - شارع السيد عباس الموسوي - تلفاكس : 01/545182 - 03/473919
ص . ب : 13/6080 - المستودع : بئر العبد - مقابل البنك اللبناني الفرنسي - هاتف : 01/541650
www.daraloloum.com E-mail:info@daraloloum.com

فاجعة البقيع

جلال معاش



مؤسسة الإمامة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ
ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾
ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ
ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

إنها لمأساة حقيقية والله..

إنها لمأساة شنيعة، وأعمال إرهابية مريعة.. بحق الدين والناموس العام، وبحق الإنسان والإنسانية.. وبحق الضمير، والقيم، والمثل الأخلاقية..

بل إنها جريمة من أفظع الجرائم على وجه المعمورة، ما تقوم به هذه الجماعة الخارجة عن الديانة الإسلامية، بل الخالية من الإنسانية..

ماذا نقول لهم؟!!

بأيّ لسان نخاطبهم؟!!

بأيّة لغة نتوجه إليهم لتحريك الضمير المدفون في أعماقهم؟!

إن خاطبناهم بالإسلام الحنيف، قالوا: أنتم كفار، أو مشركون يجب قتلكم!!

وإن تحدثنا إليهم بالأخوّة الإنسانية، قالوا: أنتم مرتدون واجب

ذبحكم!!

وإن توجهنا إليهم بالحوارات السياسية، قالوا: أنتم أعداء ألدّاء مفروض حربكم!!

وإذا أعيتك الحيلة والمذهب وسألتهم، لماذا كلّ هذا الإرهاب والتطرف عندكم؟!

قالوا: لأنكم لا تدينون بدين السلفية!!

أي منطق هذا يا عقلاء الدنيا وأحرارها..؟!

صاروا نقطة سوداء مظلمة، بل أصبحوا لطخة عار مشينة ولعنة على الديانة الإسلامية، لأنهم شوّهوا وجه الإسلام الحضاري في عيون أهل الأرض!!

الإسلام.. تلك الرسالة والديانة والقانون السماوي الذي أنزله الله على الرسول الخاتم محمد بن عبد الله ﷺ لينقذ البشرية من الضلال والضياع إلى الهدى والنور في الدنيا والآخرة..

الإسلام.. رسالة السلام والمحبة والأخوّة الإنسانية، صار يعني الإرهاب والقتل والتدمير أينما ذكر، وذلك بسبب أعمال تلك الجماعات الخارجة عن كل دين أو مبدأ بنّاء، أو فكر مصلح لبني البشر..

وتبقى تردد في كل يوم.. أن المأساة تتجدد.. المأساة

تتجدد..

فتيقظوا يا حكماء العالم.. وانتبهوا يا عقلاء البشر.. انهضوا واستفيقوا يا نيام في أحضان الإسلام، فالخرق اتسع على الراقع - كما يقال - وما لم ننهض جميعاً للوقوف بوجه أولئك الضالّون، لأنه لن يجدي العمل الفردي أو الطائفي، لوقف خطرهم الداهم للأمة جمعاء، ولا تفيد النجدة بعد خراب البصرة..

وإننا لنهيب بالعالم الحر، وبلاد الإسلام والمسلمين، حكاماً ومحكومين، مفكرين ومثقفين، دعاةً ومصلحين.. وإلى كلّ المؤسسات والجمعيات الرسمية والأهلية العالمية، وإلى كلّ الجوامع والجامعات والحوزات العلمية في العالم الإسلامي، إلى كل المدارس والمعاهد والكليات الدينية.. أن يهبوا وينهضوا لإحياء تراث رسولهم الكريم محمد بن عبد الله ﷺ وآله الطاهرين عليهم السلام وأصحابه المنتجبين..

ولبناء كل ما تهدم من قبل لا سيما الآثار النبوية والإسلامية عامة، وقبور أئمة المسلمين في بقيع الغرقد خاصة، وإعطاء الحرية كاملة للحجاج بالزيارة والدعاء والصلاة عند رسول الله ﷺ والبقيع وغيره، بكامل الحرية الذي يشرعها المذهب الخاص.. ولكل مذهبه المعترف به إسلامياً..

أخي القارئ الكريم..

إن مأساة البقيع، وفجيعة الهدم التي انطلقت منذ أكثر من ثمانين عاماً وبالضبط في صبيحة ٨ شوال ١٣٤٤هجرية الموافق لـ١٩٢٥/٤/٢١ميلادية تمت الجريمة بليلة ظلماء، ويوم أسود في التاريخ الإسلامي المعاصر..

وهذا الكتاب (فاجعة البقيع) للخطيب الحسيني، والداعية الإسلامي والمبلغ لأحكام الإسلام سماحة الشيخ جلال معاش - حفظه الله - صاحب التجربة الفنية في هذا المجال.. وهو مقتبس من كتابه الضخم الفخم (الحسين والوهابية) الذي أجاد فيه وأفاد فعلاً حين أعطى العالم الصورة الحقيقية عن الأخلاق والمناقب الحسينية الإسلامية وقارنها مع تصرفات ومواقف الوهابية والسلفية بشكل عام..

ومؤسسة الإمامة ارتأت أن تنشر هذا الكتاب بشكل مستقل وتوزعه بحلة جديدة، بعد طباعته بمناسبة الذكرى السنوية لتلك الفاجعة المؤلمة للقلوب المؤمنة حقاً..

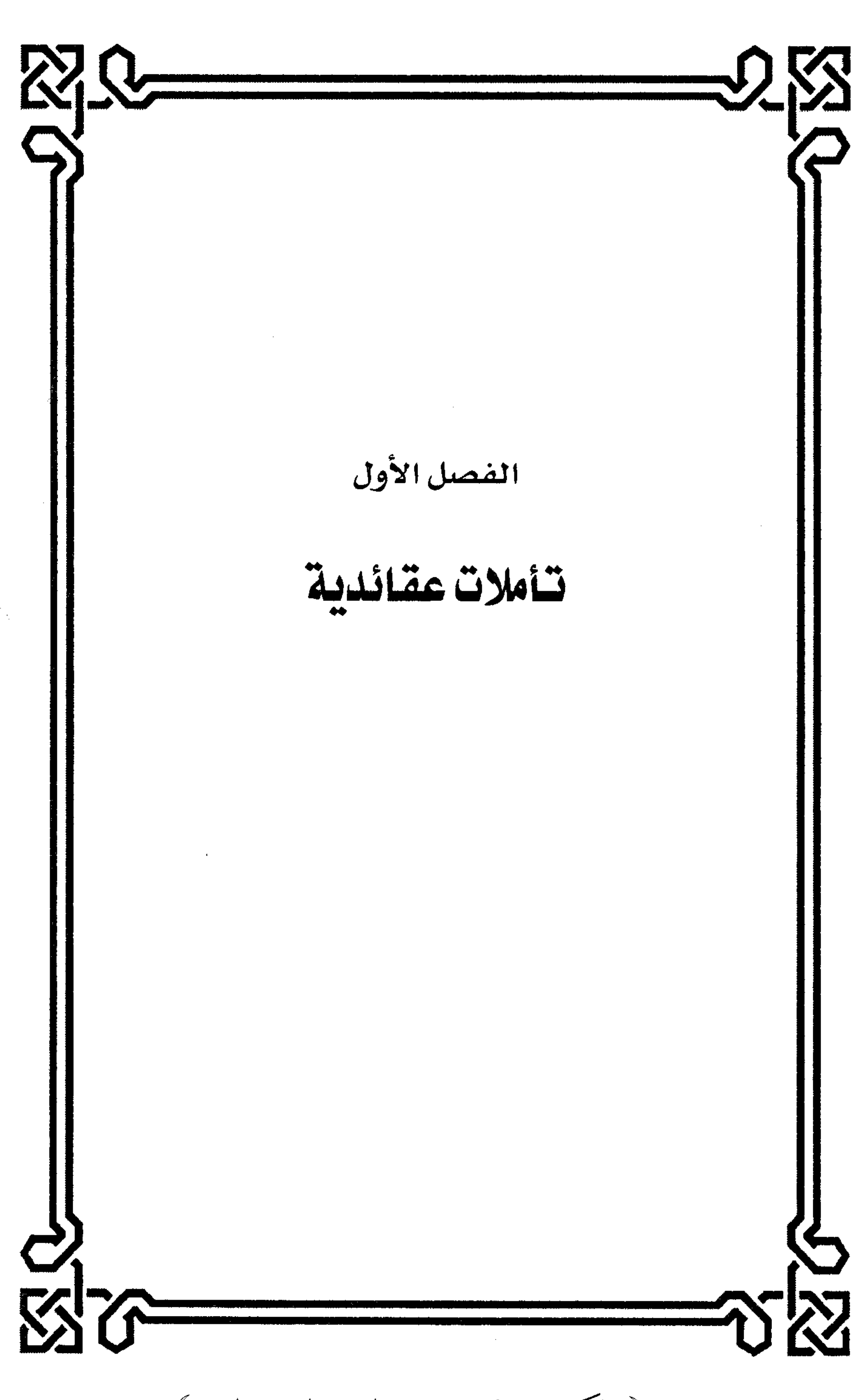
راجين من الله تعالى دوام التوفيق لسماحة الشيخ ولكل العاملين في هذا الحقل الشائك وهذا العصر العصيب، وأن يتقبل منا هذا القليل ويجزل لنا العطاء عليه، وأن يوفقنا ويوفق أهل الخير من المؤمنين للعمل الجاد من أجل إحياء تراث الإسلام

كافـة، والنبويـة خاصـة، ولا سـيما بنـاء المراقـد المقدسـة لأئمـة المسلمين عليهم السلام على صعيد البقيع الطاهر..

والحمد لله رب العالمين..

مؤسسة الإمامة

بيروت - لبنان



الفصل الأول

تأملات عقائدية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم إلى يوم الدين.

هل سمعت عزيزي القارئ عن حديث البدعة الذي روي عن الرسول الخاتم الحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه وآله؟

هل قرأت يا أخي الكريم خبر الخوارج من هذه الأمة في الأحاديث النبوية الشريفة، وأعمال وأقوال أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام قديماً بحقهم؟

هل خبرت أمر الردّة والمرتدين كيف ابتدؤوا واستمروا.. متى وإلى أين.. سوف ينتهون؟

وبالتالي هل تعلم شيئاً عن أحوال آخر الزمان، وحوادث نهاية العالم الذي نعيش فيه؟

حديث البدعة

ألم يأتك حديث البدعة الذي قاله الرسول الأعظم ﷺ منذ مئات السنين، يحذرنا منها ويصفها لنا بدقة، ويبين أفكارها ويخبر عن أصحابها ومكانهم في الدار الآخرة.

لقد روت كتب الحديث أنه (صلوات الله وسلامه عليه وآله) قال: «**إنَّ على كلٍّ حقيقة نوراً، وإنَّ شرّ الأمور محدّثاتها، وإنَّ كلَّ بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**»[1].

البدعة: هي إحداث شيء ليس من الدين، وإلصاقه بالدين والتعبد به، أو دعوة الناس إلى التعبد به.. وفي الحديث الشريف: «**مَنْ سَمعَ ناطقاً فقدْ عبدَه، فإنْ كانَ الناطقُ مِنْ عِندِ اللهِ فقدْ عبَدَ اللهَ، وإنْ كانَ منْ عندِ الشَّيطان فقدْ عَبد الشَّيطانَ**»[2].

والحبيب المصطفى ﷺ وأئمة المسلمين كانوا دائماً يحذّرون الأمة من البدع الضالة، وليس هناك بدع حسنة في الدين

(١) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٣٢٤، كشف الغمة: ج٢ ص١٣٤.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٣١٧.

كما يقول العلماء، والمبتدعون يتبرؤون منهم ويطردونهم من مجالسهم حتى لا يفتتن الضعفاء من الأمة بهم.

وقصة الرسول الأعظم ﷺ مع ذي الثدية حين دخل المسجد النبوي الشريف، فأعجب الصحابة به، فأمر أبا بكر بأن يأخذ السيف ويضرب عنقه.. ثم أمر عمر بذلك بعد أن عاد صاحبه دون أن يفعل، بحجة أنه كان ساجداً يصلي، فعاد عمر بذات الحجة، فأخذ السيف أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال له ﷺ: «اضرب عنقه إن وجدته».

فذهب إليه الأمير عليه السلام فلم يجده لأنه خرج من الباب الآخر للمسجد، وكان هذا فيما بعد من رؤوس الخوارج، وقُتل في النهروان مع من قتل منهم يومذاك، وبحث عنه أمير المؤمنين عليه السلام مع أصحابه ولما وجدوه كبّروا[1].

وكان ذلك بمثابة معجزة للحبيب المصطفى ﷺ، لأنه أخبر عنه قبل أكثر من ثلاثين سنة وأعطى أوصافه بدقة.

إذا كان رسول الله ﷺ أخبر الأمة عن البدعة وحذر منها أمته، وإذا كان الصحابة الكرام يتوقون أن يقال لأحدهم أنه أبدع في الدين، رغم كل الذي عملوه وفعلوه من تغيير وتبديل تحت اسم الاجتهاد، فكيف يمكن لأهل نجد بعد أكثر من ألف

(١) انظر الإرشاد: ص١٥٠ - ١٥٢.

سنة أن يأتوا بدين جديد غير دين الإسلام؟!

كيف لمن لا يعترف بالله والرسول وأئمة الإسلام أن يقول عن نفسه أنه مسلم أو على دين الإسلام؟!

كيف لمن لا يعترف بالله والرسول وأئمة الإسلام أن يقول عن نفسه أنه مسلم أو على دين الإسلام؟!

وكيف لمن يرمي أمة الإسلام بالكفر والشرك والضلال أن يدّعي أنه مسلم، نعم.. إنه مسلم ولكن على دين محمد بن عبد الوهاب لا دين محمد بن عبد الله ﷺ؟!

وبالتالي كيف لهؤلاء أن يدّعوا العلم بالدين، والقرآن، والسُّنَّة، واللغة، والفلسفة، وأحكام العقل، وأخبار النقل، وأنهم علماء ومجتهدون ومجدّدون للدين؟!

حقاً إنها لطامّة كبرى نزلت على هذه الأمة من أصحاب هذه الأفكار الغريبة والعجيبة!!

حديث الخوارج

حذر رسول الله ﷺ من الخوارج، ومن يتتبع الأحاديث الشريفة يلاحظ أنه حذّر من فئتين من الخوارج: سلف وخلف.

أما السلف: فهم أصحاب ذي الثدية الذي مر ذكره آنفاً ووصفهم رسول الله ﷺ بأكثر من حديث ورواية، كقوله ﷺ: **«يمرقون من الإسلام (الدين) كما يُمرَق السهم من الرمية أينما لقيتموهم فاقتلوهم»**[1].

وقال ﷺ عن أوصافهم في الآخرة: **«إنهم كلاب أهل النار»**[2]

وقال ﷺ: **«يقرؤون القرآن يحسبونه لهم وهو عليهم»**[3].

أو: **«يقرؤون القرآن تحتقرون قراءتكم عند قراءتهم،**

---

(١) راجع: صحيح مسلم باب (الخوارج شر الخلق والخليقة) حديث ١٠٦٨، وكذا حديث رقم (١٠٦٣ - ١٠٦٧)، وصحيح البخاري: باب (من ترك قتال الخوارج).

(٢) سنن الترمذي: حديث ٤٠٨٦، الطبراني في الكبير: ج٨ ص١٦٧ ح١٠٣٤.

(٣) صحيح مسلم: ج٨ ص١٨٠، الحاكم في المستدرك: ج٢ ص ١٤٨.

وصلاتكم عند صلاتهم لا يتجاوز تراقيهم، يقرؤون القرآن والقرآن يلعنهم»[1].

وأولئك هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام، الخليفة الشرعي وإمام الزمان الذي اجتمعت عليه الأمة الإسلامية، عدا الشام لوجود معاوية بن أبي سفيان فيها، وبايعه الصحابة والتابعون بعد الفتنة التي اصطنعها صبيان بني أمية حول عثمان الضعيف تجاههم، ولم تنجلي إلاّ بقتله وإلقائه في حشٍّ كوكب.

وكانوا حوالي العشرة آلاف خرجوا بعد التحكيم، فكفّروا الإمام علياًعليه السلام - والعياذ بالله - ومعاوية والحكمين وكل من يلوذ بهما، فبعث إليهم أمير المؤمنين يستتيبهم مع عبد الله بن عباس.. فرجع إلى حظيرة الإسلام المباركة ستة آلاف وبقي أربعة آلاف منهم.

وراحوا يسعون في الأرض فساداً، فخرج إليهم أمير المؤمنينعليه السلام بجيشه والتقوا عند النهروان، فقتلهم جميعاً ولم ينج منهم إلاّ أقل من عدد الأصابع كما أخبر بذلك أمير المؤمنينعليه السلام: «**لا يقتل منكم عشر، ولا ينج منهم عشر**».

ورغم الذي فعلوه فإن شعار أمير المؤمنين عليه السلام كان: «**لا**

---

(١) المصدر السابق.

نبدؤكم بقتال، ولا نمنعكم عن مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه، ولا نمنعكم من الفيء ما دامت أيديكم معنا»[1].

أولئك هم السلف، خوارج الأمس البعيد الماضي السحيق، فذهبوا وكانوا لعنة التاريخ على هذه الأمة، ولكن لعنة الله تلاحقهم إلى أن ترميهم في الدرك الأسفل من النار.

لأنهم: «**شرّ قتلى تحت أديم السماء**»[2] كما يصفهم رسول الله ﷺ في كلمة له.

وأما الخلف، فهم خوارج اليوم القريب والحاضر الذي نعيش فيه، وهم أشنع وأبشع من أولئك في تاريخ الأمة الإسلامية.

تروي كتب الحديث قول رسول الله ﷺ: «**إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلّين، وإذا وضع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فيأم (فيآم) من أمتي الأوثان، وإنه يكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم**

(١) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ج٥ ص١٣٥، أحداث سنة ٣٧هـ.

(٢) مسند أحمد: ج١٢ ص٣٣٨، سنن ابن ماجة: حديث ٣٩٥٢، سنن أبو داود: حديث ٤٢٥٢.

من خذلهم حتى يأتي أمر الله»[1].

مَن هم الضّالون المضلّون الذين خرجوا من الدين ومرقوا منه، بعد أن كفّروا الأمة واستباحوا دماءها، وأموالها، وأعراضها، دون ذنب أو جريمة سوى أنهم خالفوا آراء السلفية بالعقائد والأحكام والأخلاق الباطلة، الذين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً؟!

وصدق الشريف عبد الله الذي كتب كتاباً عنهم يبين فيه حالهم منذ بداية انتشارهم تحت عنوان (صدق الخبر في خوارج القرن الثاني عشر)، إنهم خوارج العصر الحديث. فأحاديث رسول الله ﷺ عن آخر الزمان وأخباره عن الكثير من الحوادث والقضايا، تؤكد لنا ذلك وبما لا يدع لنا مجالاً للشك فيهم..

(١) كتاب العمدة: ص٤٣١.

شرعية الدعاء

يعتقد السلفيون: أنَّ من دعا أو استغاث بأحد غير الله فقد أشرك بالله، لأن الدعاء عبادة كما في قوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(١).

فإذا قلت: يا محمد يا رسول الله، أو يا علي يا ولي الله، فإنما أنت بهذا النداء تشرك بالله، لأنك تدعو غير الله وتستغيث بغير الله. اسمع ما يقول الصنعاني في (تنزيه الاعتقاد): (ومن هتف باسم نبي أو صالح بشيء أو قال: اشفع لي إلى الله في حاجتي أو أستشفع بك إلى الله في حاجتي أو نحو ذلك، أو قال: اقض ديني أو اشف مريضي أو نحو ذلك، فقد دعا ذلك النبيّ والصالح، والدعاء عبادة -بل مخّها- فيكون قد عبد غير الله وصار مشركاً)(٢).

---

(١) سورة غافر: الآية ٦٠.

(٢) انظر: كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب: ص٢٧٣.

قل لي بربّك أليس هذا عين السفسطة؟ أليس هذا البرهان كبراهين أولئك السوفسطائيين، الذين ما زال العقلاء يضحكون من براهينهم السطحية والخالية عن أيّ أصل علمي؟!

إنك عندما تقدّم نبيّاً أو صالحاً بين يدي دعائك إلى الله، ليكون لك وسيلة وباباً لقبول الدعاء واستجابة الطلب، فأين هذا من العبادة؟ التي تعني الخضوع النابع من الاعتقاد بالألوهيّة والربوبيّة للمعبود، وهذا محصوراً بالله قطعاً.

والله سبحانه وتعالى أمرنا نحن المسلمين أن نقدم رسول الله ﷺ خاصّة بين يدي حاجاتنا، بقوله تعالى: **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾**[1].

هذا لأن المدعو عبد من عباد الله المكرمين، (بل أكرم عباد الله طراً)، ولأنه ذو مقام معنوي استحق به منزلة النبوّة أو الإمامة، والله سبحانه وعد المتوسّلين به ﷺ بقبول أدعيتهم، وإنجاح طلباتهم فيما إذا قصدوا الله عن طريقه[2].

لا بل هناك أحاديث كثيرة تأمرنا وتحضّنا على الابتداء بالدعاء وإنهائه بالصلاة على محمد وآل محمد (صلوات الله

(١) سورة النساء: الآية ٦٤.

(٢) التوحيد والشرك في القرآن الكريم: ص ١٨٤.

وسلامه عليهم)، لأنها مفتاح القبول للدعاء كما في الحديث الشريف: «من كانت له إلى الله عزّ وجلّ حاجة فليبدأ بالصلاة على محمد وآله، ثم يسأل حاجته ثم يختم بالصلاة على محمد وآل محمد، فإن الله عزّ وجلّ أكرم من أن يقبل الطرفين ويدع الوسط، اذ كانت الصلاة على محمد وآل محمد لا تحجب عنه - تعالى- ».

نعم إنَّ أحد أعظم موارد استجابة الدعاء ذكر الحبيب المصطفى محمد ﷺ، لأن ذكره واجب ومندوب، وفاضل ومرغوب في كل زمان ومكان.

حقيقة الشفاعة

يقول محمد بن عبد الوهاب: إن قال قائل: الصالحون ليس لهم من الأمر شيء، ولكن أقصدهم وأرجو من الله شفاعتهم. فالجواب: إن هذا قول الكفار سواء بسواء، وأقرأ عليهم قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إلاّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾[2].

وإن قال: إن النبيّ أعطي الشفاعة، وأنا أطلبها ممن أعطاه الله. فالجواب: إن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن طلبها منه، فقال تعالى: ﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً﴾[3].

وأيضاً فإنّ الشفاعة أعطيها غير النبيّ، فصحَّ أن الملائكة

(١) سورة الزمر :الآية ٣.

(٢) سورة يونس: الآية ١٨.

(٣) سورة الجن: الآية ١٨.

يشفعون، والأولياء يشفعون. أتقول: إنّ الله أعطاهم الشفاعة فأطلبها منهم؟ فإن قلت هذا رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكرها الله في كتابه[1].

إن هذا الكلام كذر الرماد في العيون تماماً، فما معنى أن يعطيك الله الشفاعة وينهاني عن طلبها منك، فما قيمة هذه الشفاعة إذن؟ ولكن هذه حجّة من لا حجّة له، لأنه صح أن الله أعطى الشفاعة للأنبياء والأولياء والملائكة، وحتى الخواص كالوالدين والأصدقاء من المؤمنين..

فإذا صحّت وثبتت بالكتاب والسنّة، فإنه علينا أن نبحث لها عن تأويل، ونلتف عليها لنفرغها من محتواها العقائدي. فلأولئك المتفلسفين من السلفيين نقول: إن للمسألة ثلاثة أركان أساسية:

١- **جهة الشفاعة المطلقة:** هي لله سبحانه: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً﴾[2]، أي أن المشفوع إليه هو الله لأنه صاحب الحساب والعقاب في الآخرة.

٢- **جهة الشفاعة النسبية:** هي لمن أعطاه الله إذناً بالشفاعة، لكرامة أو قرب أو أي أمر معنوي له؛ وهذه ثابتة لمن

(١) كشف الشبهات: ص٩.

(٢) سورة الزمر: الآية ٤٤.

ذكرنا من قبل، وهؤلاء شفاعتهم مأذونة (بإذن الله) لأنه: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[1].

﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾[2].

﴿يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾[3].

﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾[4].

هذه الآيات المباركات وأخرى غيرها تؤكد أن الشفاعة لا تكون إلا بإذن الله تعالى.

٣- **جهة الطلب**: أي من يطلب الشفاعة، وهو العبد الفقير المحتاج إلى شفاعة شافع من نبي كريم أو إمام مبين أو غير ذلك، ليرحمه الله ويغفر له ذنوبه ويدخله الجنة بالرحمة والشفاعة المقبولة.

وهؤلاء المساكين يحتاجون في تحقق الشفاعة إلى أمرين اثنين:

١- أن يكون الشفيع مأذوناً له في الشفاعة.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

(٢) سورة يونس: الآية ٣.

(٣) سورة طه: الآية ١٠٩.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٢٨.

٢- أن يكون المشفوع له مرضياً عند الله[١] .

وأين هذا من الشرك يا عقلاء العالم؟! فإذا اعتقدنا بالشفاعة للنبي ﷺ وطلبناها منه، فهل هذا يعني أننا نعبد رسول الله ﷺ، ونجعله صنماً نعبده من دون الله، وتستباح لذلك دماؤنا! ويحكم علينا أتباع ابن عبد الوهاب بالقتل والسبي وغير ذلك؟! أين هذا من دين الإسلام الحنيف يا عباد الله؟!

وسيكون لنا وقفات وحوارات وقصص وروايات مع هذه الجماعة فيما بعد، لنرى التعصّب والتبلّد الذي يضرب بعرض الحائط كل ما جاء به القرآن الكريم، والعقل السليم، والرسول العظيم محمدﷺ، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

(١) التوحيد والشرك في القرآن الكريم: ص١٦٣.

حديث التوحيد بالعبادة

العبادة الحقّة التي تعني الخضوع الكامل، مع اعتقاد إلهيّة المعبود أو المتوجه إليه بالطاعة، تعدّ من ضروريات الدين الإسلامي، والمتفق عليه من جميع طبقات المسلمين، بل من أعظم أركان أصول الدين؛ اختصاص العبادة بالله ربّ العالمين.

ولذا نقول في صلواتنا كل يوم عشر مرّات: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. لأنه لا يستحقها غيره، ولا يجوز إيقاعها لغيره، ومن عبد غيره فهو كافرٌ مشرك، سواء عبد الأصنام، أو عبد أشرف الملائكة أو أفضل الأنام. وهذا لا يرتاب فيه أحد ممن عرف دين الإسلام[1].

ولكن شذّاذ الآفاق وشواذ العصور المتأخرة يقولون: ومن الشرك ما يفعله كثير من الناس من النذر لغير الله والذبح لغيره، كما يفعل عند قبور الصالحين وغيرهم.

فكما أن من صلّى وسجد لغير الله فقد أشرك، فكذلك من

(١) الوهابية وأصول الاعتقاد: ص٢٢.

نحر وذبح لغير الله فقد أشرك، ومن هنا حذر رسول الله ﷺ أمته من اتخاذ القبور مساجد، حتى لا يقع الناس في الشرك بسبب الغلو في الصالحين[1].

نقول: نعم.. العبادة لله وحده، ويجب أن تكون خالصة مخلصة لوجهه الكريم دون أي شريك، وهذا ما نستفيده ونتعلمه من القرآن الكريم، لا سيّما أم الكتاب التي نقرؤها في الصلوات كلها قائلين: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وتقديم (إيّاكَ) على الفعل (نعبدُ) تفيد الحصر، كما يقول أهل اللغة والتفسير، أي أننا نقول: نحصر العبادة، والاستعانة بك يا الله، فلا نعبد ولا نستعين بأحد إلاّ بك وحدك، وما على أهل الكفر والإيمان إلاّ التوجه والبحث في جميع كتب التفسير حول هذه الآية المباركة في سورة الفاتحة.

وهذا ما نقرؤه في سورة الكافرون، والعشرات من الآيات القرآنية في مختلف السور، كقوله تعالى: ﴿إِنْ الْحُكْمُ إِلاّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيَّاهُ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ

(١) معلومات مهمة عن الدين: ص١٥، علماً:أنّ هذا الكتيب وزّع منه بالملايين في أيام موسم الحج على حجاج بيت الله الحرام!!

(٢) سورة يوسف: الآية ٤٠.

سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1].

وعبادة الله وحده كانت آخر وصايا الأنبياء عليهم السلام لأبنائهم وذويهم وأممهم، كما قصَّ سبحانه وتعالى لنا وصيّة نبيّ الله يعقوب عليه السلام: **﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾**[2].

تلك هي العبادة المخلصة التي أمر الله بها رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وأمتّه المرحومة، كما في قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾**[3].

وقوله تعالى: **﴿قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي﴾**[4].

فالعبادة كما يقول أهل العربية: هي غاية الخضوع والخشوع والتذلل والسجود، ووضع المكارم على الأرض أمام المخضوع له، وهذا لا يجوز إلا لله وحده، ولذا فإنك ترى المسلمين والمؤمنين عندما يذهب أحدهم إلى زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله أو

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣١.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٣٣.

(٣) سورة الزمر: الآيتان ٦٥ - ٦٦.

(٤) سورة الزمر: الآية ١٤.

أولياء الله ويصلّون صلوات الزيارة، فتراهم يقولون في عقبها:

«اللَّهُمَّ إنِّي صلّيتُ وركعتُ، وسجدتُ لكَ وحدكَ لا شريكَ لكَ، لأنَّ الصلاةَ والركوعَ والسجودَ لا تكون إلاَّ لكَ لأنَّكَ أنتَ الله لا إله إلاَّ أنتَ، اللَّهمَّ صلِّ على محمدٍ وآل محمد وأبلغهمْ عنّي أفضلَ السَّلام والتحيةِ واردُدْ عليَّ منهمُ السَّلامَ، اللَّهمَّ (وهاتان الركعتان) هديةٌ منّي إلى مولايَ (وتسمّي المزور)، اللَّهمَّ صلِّ على محمدٍ وآله وتقبّل منّي وَأْجُرني على ذلكَ بأفضلِ أملي ورجائي فيكَ وفي وليِّكَ يا وليَّ المؤمنين»(١).

وربما تقول: وَأجُرني عليهما شفاعته لي يوم القيامة، أو يوم الورود عليك.. وهذا - كما تقرأ يا أخي المؤمن- إقرار اللسان الذي ينبع عن عقد راسخ في الجنان، على أن العبادة لا تجوز إلا لله وحده، لأنه أهل العبادة وصاحب الاستحقاق لها بالأصالة، وبها يتفرد دون غيره من الخلق أجمعين.

١- سجود الملائكة لآدم عليه السلام:

إن هذا السجود إذا كان بأمر من الله، يخرج عن حيز العبادة للمسجود له إلى حيز عبادة الآمر بالسجود، كما في قصة أبينا آدم عليه السلام وسجود الملائكة له، وورود ذلك في عدد من السور

---

(١) مفاتيح الجنان: ص٥٠٣، مؤسسة الأعلمي - بيروت.

القرآنية، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ﴾[١].

نسأل: هل كان السجود هنا عبادة لآدم عليه السلام أم تعظيماً وتفخيماً وتكريماً له؟!

فالآية تدلّ دلالة قطعية وواقعية واضحة على أن آدم عليه السلام كان مسجوداً له، وأن الملائكة كانوا هم الساجدين، وأن الله اعتبر إبليس مستكبراً وكافراً لأنه لم يسجد لآدم، فهل كان آدم معبوداً إلهاً والملائكة عابدون له والعياذ بالله؟!

لا .. إن الآية تدل على أن آدم عليه السلام كان مسجوداً للملائكة، ولم يحسب سجودهم له شركاً وعبادة لغير الله، ولم تعد الملائكة بذلك العمل مشركة، ولم يجعلوا بعملهم هنا نداً لله وشريكاً في المعبودية، بل كان عملهم تعظيماً لآدم وتكريماً لشأنه[٢].

وهنا يمكن أن يكون لدينا عدد من الصور، لتفسير أو فهم هذا السجود الملائكي المقدس لآدم عليه السلام، كما يذهب معظم أهل التفسير قديماً وحديثاً:

- يمكن أن يتصوّر: أن معنى السجود لآدم في هذه الآية هو

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣٤.

(٢) التوحيد والشرك في القرآن الكريم: ص٥١.

الخضوع له، لا السجود بمعناه الحقيقي المتعارف - كسجود الصلاة-.

- و يمكن أن يتصور: أن المقصود بالسجود لآدم عليه السلام، هو جعله (قبلة) كالكعبة المشرفة -لا السجود له سجوداً حقيقياً-.

ولكن كلا التصورين باطلان بالدليل:

أما الأول: فلأن تفسير السجود في الآية بالخضوع خلاف الظاهر، والمتفاهم العربي، إذ المتبادر من هذه الكلمة في اللغة والعرف هو الهيئة السجودية المتعارف عليها لا الخضوع.

وأما الثاني: فهو أيضاً باطل لأنه تأويل بلا مصدر يرجع إليه ولا دليل يدل عليه.

هذا مضافاً إلى أن آدم عليه السلام لو كان قبلة للملائكة لما كان ثمة مجال لاعتراض الشيطان إذ قال:﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾[1].

لأنه لا يلزم -أبداً- أن تكون القبلة أفضل من الساجد، ليكون أي مجال لاعتراضه، بل اللازم هو: كون المسجود له أفضل من الساجد، في حين أن آدم عليه السلام لم يكن أفضل في نظر الشيطان، وهذا مما يدل على أن السجود كان أمام مسجود له.

(١) سورة الإسراء: الآية ٦١.

يقول الجصاص: ومن الناس من يقول أن السجود كان لله، وآدم بمنزلة القبلة لهم، وليس هذا بشيء، لأنه يوجب أن لا يكون في ذلك حظ من التفضيل والتكرمة، وظاهر ذلك يقتضي أن يكون آدم عليه السلام مفضلاً مكرماً.

ويدل أن الأمر بالسجود قد كان أراد به الله تكرمة آدم عليه السلام وتفضيله، وقول إبليس فيما حكى الله عنه: ﴿**أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً * قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ**﴾[1].

فأخبر إبليس أن امتناعه من السجود لأجل ما كان من تفضيل الله وتكرمته لآدم، بأمره إياه بالسجود له. ولو كان الأمر بالسجود على أنه نصب قبلة للساجدين من غير تكرمة له ولا فضيلة، لما كان لآدم في ذلك حظ ولا فضيلة يحسد عليها كالكعبة المنصوبة للقبلة[2].

وعلى هذا فمفهوم الآية هو: أن الملائكة سجدوا لآدم بأمر الله سجوداً واقعياً، وأن آدم أصبح مسجوداً للملائكة بأمر الله، وهنا أظهر الملائكة من أنفسهم غاية الخضوع أمام آدم عليه السلام، ولكنهم - مع ذلك - لم يكونوا ليعبدوه[3].

(١) سورة الإسراء: الآيتان ٦١ - ٦٢.

(٢) أحكام القرآن: ج١ ص٣٠٢.

(٣) التوحيد والشرك في القرآن الكريم: ص٥٢.

٢- السجود ليوسف من أهله:

إنَّ العودة إلى القرآن الكريم واستعراض الآيات التي تحدثنا عن سجود آخر ولا عبادة للمسجود له، تضعنا أمام قصة نبيّ الله يوسف عليه السلام وأبويه وإخوته، كما تحدثنا السورة المباركة بقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً﴾(١).

ورؤياه التي يتذكرها هي: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾(٢).

وقد تحققت هذه الرؤيا بعد سنوات عجاف طويلة، بحيث سجد ليوسف أبواه وإخوته جميعاً عندما اجتمع شملهم تحت ظله وملكه لمصر، علماً بأن أحد الساجدين هو والده يعقوب عليه السلام وهو نبيّ كما لا يخفى عليك أخي العزيز.

ألا ترى أن تعبير القرآن واضح وصريح بسجودهم ليوسف عليه السلام؟

وعن هذا البيان القرآني يستفاد جلياً أن مجرد السجود لأحد بما هو، مع قطع النظر عن الضمائم والدوافع، ليست عبادة،

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٠٠.

(٢) سورة يوسف: الآية ٤.

والسجود - كما نعلم - هو غاية الخضوع والتذلل[1].

إذ أنه ليس كل خضوع بركوع أو سجود أو تذلل يعتبر عبادة، ويعتبر فاعلها مشركاً بالله، كما يذهب أصحاب الفكر السلفي، والقرآن الكريم يؤيِّد ما نذهب إليه ويدحضهم بكل قوة في العديد من الموارد والآيات المباركة.

إن الله سبحانه وتعالى، ورسوله الكريم ﷺ والعترة الطاهرة عليهم السلام، والأولياء والصلحاء والعقلاء، يأمرون الولد بالخضوع لوالديه، احتراماً وإجلالاً لهما حتى ولو كانا كافرين أو مشركين، ويعبر عن ذلك بخفض الجناح لهما، وهو كناية عن الخضوع الشديد والتذلل لهما، بقوله تعالى: ﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً**﴾[2].

فهل يا ترى إن الله سبحانه عندما أمرنا هذا الأمر بالخضوع والتذلل للوالدين، أمرنا بعبادتهما والشرك به والعياذ بالله؟! إن مثل هذا التفكير السقيم عجيب غريب فعلاً!!

٣- عمر والحجر الأسود:

وكذلك أمرنا سبحانه وجميع البشر بالحج للبيت العتيق،

---

(١) التوحيد والشرك في القرآن الكريم: ص٥٣.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٢٤.

والطواف حوله واستلام الحجر الأسود، والسعي بين الصفا والمروة، والصعود على عرفات للوقوف على صعيده الطاهر، ورمي الجمرات في منى، وغير ذلك من مناسك الحج الإسلامية التي تنطوي على معاني رفيعة عالية، ومغازي معنوية سامية، ونفعل ذلك بأمر من الله وسنّةٍ من رسوله ﷺ، لا عبادة للحجر والمدر والصخور، وما شابه ذلك من مكونات تلك الأماكن المقدسة الطاهرة!

وهل نشرك بالله في أفعالنا العبادية تلك، لا سيما ونحن نترك الأهل والمال والبلاد ونقصد البيت العتيق لنحجّ إلى الله عبادة وطاعة، وتقرّباً إلى جناب قدسه طمعاً بالمغفرة وزيادة الأجر بالجنة؟!

والأعجب من هذا وذاك في هذا النوع من التفكير، واعتصامهم برواية عمر ابن الخطاب الذي يحتجّ بها الشيخ عبد العزيز إمام المسجد النبوي الشريف، بمحاورة له مع بعض الإخوة الكرام حيث يقول عمر للحجر الأسود - بعدما قبّله-: (إني أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضرّ، ولولا أنّي رأيت النبيّ ﷺ يقبّلك ما قبّلتك)[1].

ولكن هذا الشيخ ذهل عن جواب الإمام علي عليه السلام لعمر في

(١) صحيح البخاري: ج٢ ص٥٧٩ كتاب الحج، حديث رقم (١٥٢٠).

نفس الموقف، حين بيّن له غلط عقيدته، وأعطاه الصحيح ببيانه الفصيح، حين قال له: «نعم والله إنه ليضرّ وينفع، لأنه الحجر الذي وضع فيه ميثاق الخلق عندما جمعهم الله في عالم الذر، وألقمه لهذا الحجر وكان أبيض من الثلج، وهو من حجار الجنة.. وسوف يشهد لكل من أتاه واستلمه يوم القيامة»[1].

والرواية معروفة ومشهورة، وأقنعت عمر بن الخطاب في حينها، ولكنها لم تقنع هؤلاء البشر في هذه العصور، لأنهم يرون: أن السجود، والركوع، واستلام الحجر الأسود، والخضوع والتذلل، هو من الشرك الأكبر الذي يخرج من الملة، أو الأصغر الذي يُفَسَّق صاحبُه ويُعزَّر، وإلاّ فليقتل والعياذ بالله.

فهل يمكن أن يفكر بمثل هذا التفكير عاقل يا عقلاء الدنيا؟! أين العقل؟ هل هو نائم أو مخدّر تحت تأثير الفضائيات الداعرة، أو المخدرات القاتلة؟ أم أنه في إجازة طويلة الأمد؟ أم أنه محكوم عليه بالإعدام قهراً تحت ظلام الدعوات الباطلة؟

لقد جاء رسول الله ﷺ ليثير لكم دفائن العقول منذ أكثر من ١٤٠٠ عام، فلماذا حبستم عقولكم في قمقم معظم، وجلدتم أنفسكم بسياط الجهل القاسية من دعوة ضالة جاءت بتعاليم بعيدة عن الفطرة؟!

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي قريب من هذا المعنى: ج١٦ ص٣٢.

اقرؤوا ما كتب سليمان بن عبد الوهاب - الأخ الشقيق لصاحب الفكر السلفي الحديث محمد بن عبد الوهاب - وغيره من العلماء الأعلام الغيارى على دين الإسلام الحنيف، وبهذا الخصوص للردّ على الفكر السلفي العقيم..

٤- العبادة عند النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

وفي الجملة نقول: ليس مطلق الخضوع عبادة، وإلاّ لكنا وقعنا جميعاً في الشرك ووقع معنا حتى رؤوس الفكر السلفي، وذلك لأنهم يخضعون للآباء والأمهات، ويأمرون أولادهم وأزواجهم بالخضوع لهم، ويتذللون للأمراء والكبراء ويخضعون لهم بعض الخضوع. فالتواضع ولين الجانب وسعة الصدر، وبعض الأخلاقيات التي تشتمل على بعض الخضوع ليست من العبادة في شيء، بل هي أخلاقيات إنسانية رائعة لا يمكن أن نتخلى عنها..

فالاحترام والتقدير ليس عبادة، وإلاّ فإن الله سبحانه أمر المسلمين بعدم رفع الصوت أمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعدم الجهر له بالقول وعدم مناداته من وراء الحجرات، وعندما كثرت مناجاتهم له صلى الله عليه وآله وسلم أمرهم بدفع صدقة قبل المناجاة، فلم يعمل بهذا الأمر الإلهي إلاّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كما هو مشهور في السيرة وكتب التفسير كلها.

وكُتب السنن فيها الكثير من الأحاديث التي تحكي عن تعظيم

وتقدير المسلمين لرسول الله ﷺ واحترامه احتراماً يبهر كل غريب جاء إليهم، وكانوا يتسابقون إلى أوامره ويطبقونها في كل صغيرة وكبيرة، حتى أنهم كانوا يتبركون بفضل وضوئه، ويتطيبون بلمسه أو بشمِّ عرفه (عرقه) لأنه أطيب من المسك والعنبر.

يروى أن رسول الله ﷺ خرج إلى البطحاء في وقت الظهيرة، فتوضأ وراح يصلي، فقام الناس (المسلمون) فجعلوا يأخذون يده فيمسحون بها وجوههم، والراوي يقول: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب رائحة من المسك[1].

هذا فعل رسول الله ﷺ وأصحابه الأوائل، فهل هذا عبادة لرسول الله ﷺ من دون الله؟! وفاعله مشرك بالله والعياذ بالله؟! إن هذا القول لإفك عظيم؟!

فالعبادة - عزيزي القارئ- هي الخضوع والخشوع مع اعتقاد جازم بإلهيّة المخضوع له المعبود، أو أنها الخضوع اللفظي أو العملي الناشئ عن الاعتقاد بألوهيّة المخضوع له.

ومن العلماء من وضع هذا التعريف في قالب آخر حيث قال: إنَّ العبادة هي الخضوع ممن يرى نفسه غير مستقل في وجوده

(١) راجع صحيح البخاري: ج١ ص١٨٣ كتاب الصلاة، حديث (٤٧٩)، وما يقارب هذا المعنى راجع الأحاديث رقم: (١٥٨-١٨٦-١٨٧-٣٦٩-٣٣٤٧-٣٣٤٨-٥٣٤٦-٥٥٢١-٥٩٩١).

وفعله، أمام من يكون مستقلاً بنفسه غنياً عن غيره.

والعبادة بهذا المعنى: هي نداء الله تعالى وسؤاله والخضوع التام أمامه، لاستنزال حاجات الدنيا والآخرة للعبد.. لأن الله هو الفاعل الحقيقي، والمتصرف المختار، والمالك الكلي لأمور الدنيا والآخرة كلها، والمتصرف فيها بالتدبير الحكيم، ولو دعا العبد أو نادى أي موجود آخر في هذه الحياة بهذا الوصف تماماً أو بعضاً، فالدعاء والنداء عبادة له وشرك بلا كلام أو نزاع في ذلك.

وعلى ذلك فلو خضع واحد منا أمام موجود، زاعماً بأنه مستقل في ذاته أو فعله، لصار الخضوع عبادة، بل لو طلب فعل الله من غيره لكان هذا الطلب نفسه عبادة وشركاً[1].

هذا هو المعنى الحقيقي للعبادة، وليس كل ما يذهب إليه أتباع هذا الفكر، من أن كل خضوع أو خشوع، أو دعاء، أو استغاثة، أو زيارة هي عبادة لذاك الذي نتوجه إليه..

لأن التوجه إلى أي شيء أو أحد دون اعتقادٍ جازمٍ بألوهيةٍ - أو جزءٍ من ألوهيةٍ- في مَن نتوجه إليه، أو أنه يملك استقلالية ذاتية في تصرفه، أو تصريف شؤون أو بعض شؤون هذا الكون الفسيح لا يعتبر عبادة أو شركاً.

(١) التوحيد والشرك في القرآن الكريم: ص٨٨.

الرسول الأعظم ﷺ والفكر الفلسفي

كُتب الكثير الكثير عن الرسول الأعظم محمد بن عبد الله ﷺ من أمته ومن خارج هذه الأمة، منذ أن ظهر إلى الوجود بشخصه المبارك، ولا سيما بعد أن بدأ بدعوته الإسلامية الميمونة.

فكان القمّة الإنسانية التي لا تُرتقى، بل ينظر إليها كما النجوم في السماء، لا بل هو شمس الوجود وقطب دائرتها النوراني.

ولطالما أعجب به البشر من كل صنف ونوع من بني آدم على مختلف الألوان والقوميات في الدنيا، ومختلف الأديان والانتماءات العقائدية كذلك، حتى أن الكفار وأهل الشرك اعترفوا بعظمته وعلوّ مكانته على أقرانه، ولا أقران له كما نعتقد.

ولذا تراهم كلما كتب كاتب عن الأنبياء والعظماء والمصلحين والأطهار، ترى اسم النبيّ محمّد ﷺ يكون على قمّة

الهرم كما يقول الكاتب الغربي المشهور (مايكل هارت) في كتابه (المائة الأوائل).

نعم لقد بهر العقول وحيّر الألباب بعظمته وعلوّ همّته، ورسالته التي نعتنق وندين لله بها، وكم كتب النصارى عن شخصية الرسول الأعظم ﷺ، معبّرين عن مدى إعجابهم وحبهم لذاك الرمز الخالد، الذي جعله الله للبشرية قدوة وأسوة بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾ [١].

هذا هو البشير النذير والسراج المنير، هذا هو العلم الشامخ والنور الباهر، هذا هو الرسول العظيم والنبي الكريم هو خاتم الأنبياء، وسيد البشر من الأولين والآخرين، الذي أفرده الله سبحانه بالرسالة الخاتمة، وقال عنه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[٢].

إنّ المتأمل في هذه الجملة النورانية، وهذا الوصف الكريم لرسول الله ﷺ، يرى أنه تفرد به دون غيره من الأنبياء والرسل عليهم السلام.

فكل نبيّ كان يبشر قومه بالرسول الذي بعده، وكل رسول

(١) سورة الممتحنة: الآية ٦.

(٢) سورة الفتح: الآية ٢٩.

كان يبشّر بالرسول الذي يليه، وجميعهم كانوا يبشرون بالرسول الخاتم المصطفى محمد ﷺ، فمن نوح عليه السلام، إلى إبراهيم الخليل عليه السلام، ومنه إلى موسى الكليم عليه السلام وعيسى المسيح عليه السلام الذي قال مبشراً: **﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾**[1].

فكلهم كانوا محطات نورانية وأساسية في الحركة التكاملية والمسيرة الرسالية في بني البشر، ولكن عندما وصلت إلى المحطة النهائية والرسول الخاتم ﷺ كانت قد وصلت إلى القمة، إذ أنه ليس بعده نبيّ ولا رسول، وليس بعد رسالته رسالة تنزل من السماء إلى الأرض لتخلّص البشرية من العذاب والعناء.

ف(محمد رسول الله) أي أنه ﷺ هو الذي يستحق أن يطلق عليه هذا الوصف دون غيره. فمحمد رسول الله ﷺ وكفى به رسولاً، وإذا ذكر هو يذهل الإنسان عن كل رسول غيره.

أقول: نعم إن الرسول الحق هو محمد دون غيره، رغم أن إخوانه من الرسل السابقين كانوا حقائق موجودة، ولكن إذا ذكر العظيم ذهل عمَّن هم أقل منه عظمة.

فكيف تعامل الفكر الوهابي مع هذا الرسول

(١) سورة الصف: الآية ٦.

الكريم ﷺ؟؟ كيف تناولوا ذكره، ووصفه، والصلاة عليه، وسيرته وسنّته؟؟

وكيف بالتالي تعاملوا مع أهله الأطهار الأبرار عليهم السلام وذرّيته المباركة؟!

تلك هي المعضلة الكبرى، أن تقرأ ما يقولونه أو يطرحونه حول ذاك الحبيب الإلهي وأهل بيته وخاصته وذريته الكرام (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

إن أصحاب هذه الدعوة أرادوا أن يصنعوا إسلاماً مشوهاً على مقاساتهم، وأفكارهم، مستفيدين من الدين وسماحته، فراحوا ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾[1]، ويلفّقون الأحاديث، ويخترعون الأخبار والروايات الكاذبة، ويجتزئون ويقطعون المرويات الصحيحة والمتواترة في هذه الأمة المرحومة.

عمدوا إلى الأصول فشوّهوها، وإلى الفروع فحرّفوها، أو إلى السّنن فبتروها، تراهم يتعلقون بالقشور ويتركون اللباب، يبهرهم المصباح ولا يسألون عن الكهرباء التي نوّرته، حتى أن أكابرهم وفي أواخر القرن العشرين أنكر المسلّمات التي عرفها صبياننا، ككروية الأرض ودورانها حول نفسها أو حول الشمس.

(١) سورة النساء: الآية ٤٦.

فهل سمعت بهذا من قبل؟! أو قرأت كهذا في مثل هذا العصر؟

إن هذه الأمّة لم تقدّر رسول الله ﷺ حق قدره، وأما هؤلاء فسأدع الحكم عليهم إليك عزيزي القارئ، وإليك الكلام وبعض أطرافه فقط.

١- محمد طارش وليس بسيد:

سيدنا رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، كم قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»[1] كما روته كتب السيرة والسنن، ومن البديهي المتعارف أنّ رسول الله ﷺ سيد البشر من أمة ربيعة ومضر لا بل من كل البشر.

فهو السيد المطاع، والقائد المعظم، وهذا ما لم يرق لأصحاب هذه الجماعة، فقالوا: لا يجوز إطلاق لفظ السيادة على رسول الله ﷺ.

لا بل تجرأ أحد المتأخرين إلى القول: أنه يجوز إطلاق لفظ السيادة على أي إنسان إلاّ سيدنا رسول الله ﷺ، بدعوى أن هذا يجر إلى عبادته من دون الله تعالى.

(١) وسائل الشيعة: ج٢٥ ص٢٣، بحار الأنوار: ج٩ ص ٢٩٤.

كيف نعبد رسول الله ﷺ إذا أطلقنا عليه لفظاً يمكن أن نطلقه على كل أحد، وهو الجدير بهذا الوصف دون غيره، هذا الذي لا أدريه ولا أعرف كيف توصلت عبقرية ذاك الأستاذ إليه؟!

رسول الله ﷺ سيد البشر وسيد ولد آدم، وسيد الأنبياء والمرسلين ﷺ، هذه بديهيات، ولذا كان الصحابة ينادونه: (يا سيدي) كما تشهد كتب السيرة والسنن، فلماذا لا يجوز أن نطلقها على رسولنا الكريم (صلوات الله عليه وآله)، وتطالبنا أن نطلقها عليك؟!

وليس هذا فقط، بل إن بعضهم كان ينظر لنفسه على أنه أفضل أو خير من رسول الله ﷺ - والعياذ بالله - وأنفع للأمة من رسولها، لأنه حي ورسول الله ﷺ ميت!

وذهب آخر إلى القول - وهذا القول منسوب في الحقيقة لابن عبد الوهاب شخصياً-: ما محمّد؟ إنّ عصاي هذه خيرٌ من محمد، لأنها ينتفع بها في قتل الحيّة ونحوها، ومحمّد قد مات ولم يبق فيه نفعٌ أصلاً، وإنما هو طارش وقد مضى!!

ولا شكّ أن هذا الكلام كفرٌ بالإجماع، وهذه الجملة الأخيرة: (هو طارش) من محمد بن عبد الوهاب كما هو معلوم، وتعني في لغة أهل الشرق: المرسل من قوم إلى آخرين (ساعي

بريد)، فيعني بهذا القول أنه (صلوات الله عليه وآله) حامل كتب (رسائل)، أي غاية أمره أنه كالطارش الذي يرسله الأمير أو غيره في أمرٍ لأناسٍ ليبلّغهم إيّاه ثم ينصرف[1].

وساعي البريد - كما هو معلوم- شخص مجهول في معظم الأحيان، بل هو مهان كذلك لدناءة وظيفته عند الجهال، وتأثيره فيمن يرسل إليهم لا يتعدى الخبر الذي يحمله، أو الرسالة التي يبلغها إليهم إذا ما عرف فحواها، ويتركهم ويمضي دون ذكر أو تأثير في حياتهم الخاصة أو العامة إلاّ أن يذكره ذاكر.

فهل كان رسول الله ﷺ كذلك؟ كبرت كلمة تخرج من أفواههم!

ولا أدري وربما أفهم من معنى الكلمة غير الذي فهمه وشرحه ذاك الشيخ الجليل، لأن (الطرش) تعني ببعض لغات العرب: (الدواب) لا سيما الماشية (الغنم والمِعزَى) خاصة.

ويكون (الطارش) هو صاحب (الطرش) والمسؤول عنه: أي الراعي. وكما هو معلوم فإن رسول الله ﷺ كان يرعى الغنم في مكة المكرمة في بدايات شبابه وأوائل صباه، وبالرواية عنه ﷺ: **«ما من نبيّ ولا رسول إلا ورعى الغنم إلا إدريس فإنه**

---

(١) انظر: السلفية الوهابية: ص٧٧، عن روضة المحتاجين لمعرفة قواعد الدين: ص ٣٨٤ للشيخ رضوان العدل بيبرس.

كان بزازاً (خياطاً)»[1].

أعتقد والله العالم أنهم يعنون أن رسول الله كان راعياً للغنم لا أكثر ولا أقل، فما عساه أن تكون قيمته عندهم وهو بهذه الوظيفة! والأدهى قول أحدهم: إن محمّداً رسول الله ﷺ زينة كالخاتم في اليد للزينة.. إنه خاتم باليد فقط، وينزع خاتمه من يده للإيضاح أمام من يسمعه، فهل سمعت بهذا التفسير العجيب الغريب؟!!

٢- الصلاة على النبيّ ﷺ بدعة:

والأعظم من هذا وذاك أن زعيم القوم محمد بن عبد الوهاب كان ينهي عن الصلاة على النبي ﷺ ويتأذى من سماعها، وينهى عن الإتيان بها ليلة الجمعة (مع أنها أفضل الأعمال كما في الرواية)، وعن الجهر بها على المنائر (لا سيما التعقيب بعد الأذان)، ويؤذي من يفعل ذلك، ويعاقبه أشدّ العقاب وربما يقتله.

وكان يقول - وعليه إثم ذلك -: إن الربابة في بيت الخاطئة - يعني الزانية- أقلُّ إثماً ممّن ينادي بالصلاة على النبيّ ﷺ على المنائر[2].

(١) وسائل الشيعة: ج١٧ ص١٠٤، مستدرك الوسائل: ج١٣ ص٢٦.

(٢) السلفية الوهابية: ص٧٦.

وأحرق كتاب (دلائل الخيرات) وغيره من كتب الصلاة على النبي ﷺ متستراً بقوله (ملبّساً على أتباعه) أن ذلك بدعة، وأنه يريد المحافظة على التوحيد[1].

ولم يكتف بتلك التهم للرسول الأعظم ﷺ، والأوصاف والنعوت البعيدة كل البعد عن الأدب والاحترام، فإنه ولشدّة نصبه وعداوته لرسول الله ﷺ، راح يمنع الناس من الصلاة عليه، وهي من أعظم القربات عند الله، وكثير من العلماء في كل عصر ومصر ألفوا كتباً تشيد وتحضّ على الصلاة على رسول الله ﷺ.

كيف لا وسبحانه وتعالى يقول له: **﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**[2].

و**﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾**[3].

ولم يكتف كذلك بهذه الموبقة العظيمة، بل راح يمنع الناس من الحضور في مجالس الذكر، ومن رفع أصواتهم بالذكر المأمور به كالتسبيح والتهليل والتكبير وقراءة القرآن أو الدعاء للمؤمنين، وراح يحارب تلك المجالس العامرة بالنور، والتي

---

(١) المصدر السابق.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٠٣.

(٣) سورة الأحزاب: آية ٥٦.

تحفّها الملائكة حيث تنزل لتتبرك بحضور مثل تلك المجالس النورانية العامرة بالإيمان.

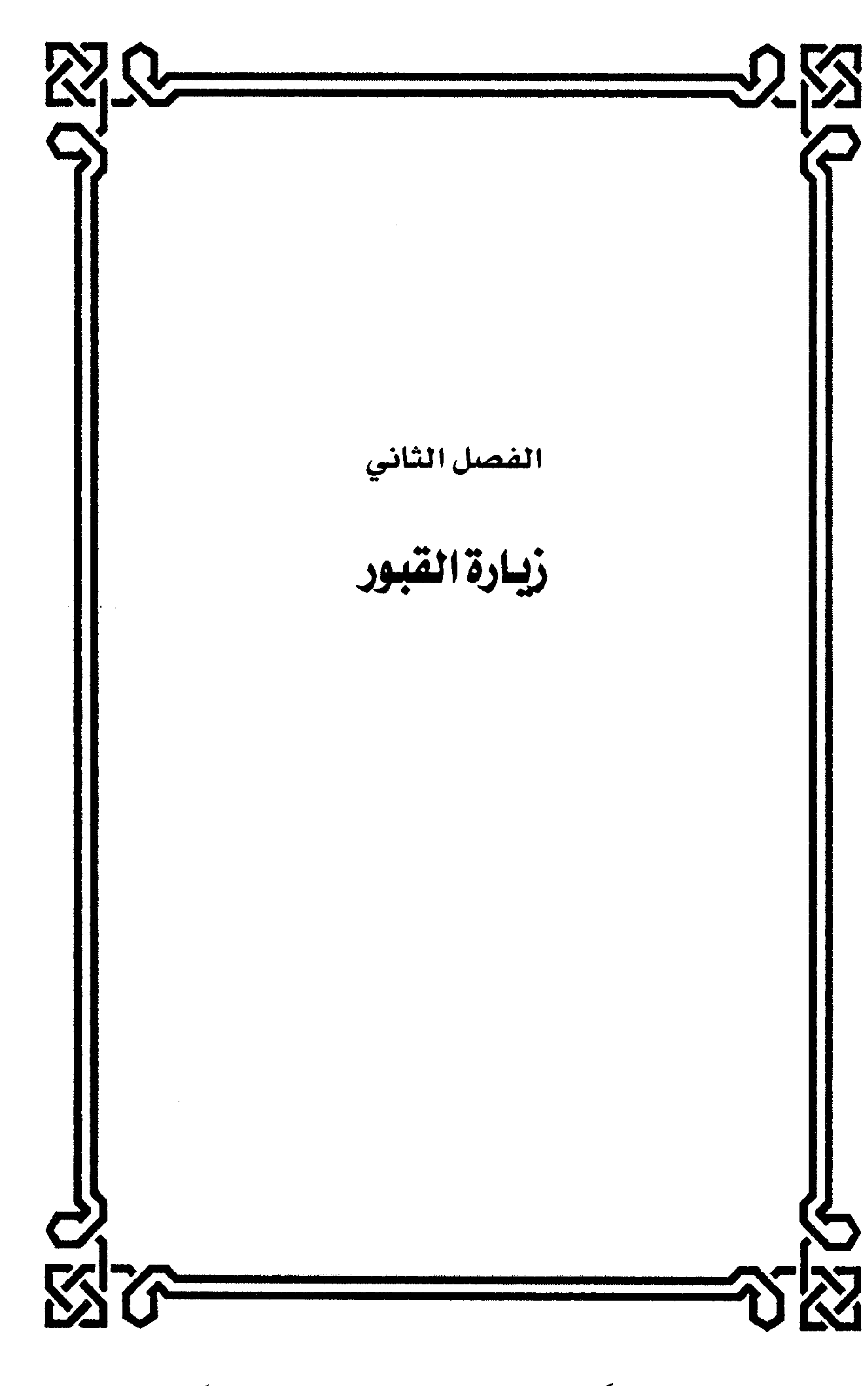
واعتبروا ذلك كله من بدع الصوفية، ولذا حين جاء (الوهابيون) حرّموا مظاهر التصوّف كالاجتماع على الذكر، وقراءة القرآن، والصلاة على النبيﷺ بعد الأذان، وحمل المسبحة، كما حاربوا اسم التصوّف بشكل عام، وأوّل من ابتدع ذلك محمد بن عبد الوهاب النجدي..

ومحاربة الذكر ومظاهر التصوف، هي مما افترق به محمد بن عبد الوهاب ومن جاء بعده من المتمسلفين عن قدامى أئمتهم مثل ابن تيمية وغيره[1]، لأن هذا الأخير يمتدح الصوفية وكل مظاهرها لا سيما الذكر والاجتماع عليه.

فما عسانا أن نقول عن كل هذه الأقوال والتصرفات البعيدة كل البعد عن الدين الإسلامي الحنيف، بل هي بعيدة عن الإنسانية وأخلاقيات الوفاء للعظماء المتعارف عليها في كل عصر ومصر[2].

(١) السلفية الوهابية: ص٧٥

(٢) نقول: حقيقة الحديث عن الصوفية والتصوّف، هل طريقتهم يقرّها الإسلام؟ وهل هي مطابقة لسنّة الرسول الأكرمﷺ؟ هنا مما يحتاج إلى دراسة وبحث وتحقيق ومراجعة وتأمل.



الفصل الثاني

زيارة القبور

حربٌ على القبور

أن تحارب حياً فهذا ممكن، وربما يحكم به العقلاء، أو لا أقل تجد لنفسك مبرراً لذلك، ولكن أن تحارب الأموات، فهذا الذي لا مبرر له عند العقلاء!

أن تحارب الله سبحانه وتعالى في رسالته، ورسولَ الله ﷺ بذاته وذريته الطاهرة في الحياة وفي الممات، فهذا شيء عجاب والله!!

نعم.. إنّ هذه الجماعة أعلنت حربها على رسول الله ﷺ بكل صلافة وجلافة باسم الدين، فقالوا:

- لا يجوز أن تقول لرسول الله ﷺ سيدنا أو سيدي، فنزعوا عنه السيادة!

- لا يجوز أن ترفع صوتك بالصلاة على محمد وآله، بل إن ابن عبد الوهاب كان يجلد وربما قتل من رفع صوته بالصلاة أمامه!

- لا يجوز الاجتماع والجمع للذكر، والصلاة من اعظم

الذكر مهما كان السبب.

كل ذلك جاء باسم التوحيد وعدم الشرك، ولكن كل ذلك لم يرق لهم ولم يشف غليل صدورهم، لأنهم يسمعون المؤذن يشهد بالرسالة خمس مرات، ويصلّي ويسلّم على الحبيب المصطفى بعد الأذان، فأمروا بإلغائها تماماً بعد الأذان!

ولم يكتفوا بذلك، لأنهم يرون الناس يضجّون ويعجّون إلى الله بالدعاء وهم طائفون حول قبر نبيّه الشريف وروضته النورانية المباركة، فراحوا يحرِّضون الناس على عدم الزيارة، ويمنعون الزائر من استلام الضريح، أو حتى الوصول إلى الرخام الموضوع حول القبر الشريف، وفوق ذلك فهم يدوسونه بأحذيتهم!

لقد أعلنوها حرباً على القبور جميعاً، وعلى المساجد والقباب التي فوقها، فدمروا الذي دمروه دون وازع من ضمير أو رادع من دين، أو احترام للميت أو الحي مهما كان دينه أو مذهبه، فعملوا أعمالاً يندى لها جبين التاريخ وما زالوا يعملون!!

وإذا قلت لهم: وقبر النبيّ الأعظم ﷺ الذي كان مهوى القلوب المؤمنة منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام قبل أن يجود علينا الزمان بكم؟

لقالوا العجب العجاب، تأمل أخي القارئ:

يقول الألباني: إن من بدع زيارة المدينة المنورة قصد قبره ﷺ بالسفر، وإبقاء القبر النبوي في مسجده، وزيارة قبره ﷺ قبل الصلاة في مسجده، والتوسل به ﷺ إلى الله في الدعاء، وطلب الشفاعة وغيرها منه، وقصد القبر النبوي للسلام عليه دبر كل صلاة[1].

وقوله: إنّ من البدع إبقاء قبره ﷺ في المسجد يعد من أشنع وأعظم الفواحش التي نطق بها هذا الرجل. وهل يتصور عاقل أن من ينطق بهذا يحترم النبي ﷺ ويحبه ويوقره؟! لا سيما وهو يقول قبل ذلك في كتابه: ثم ليعلم أن هذه البدع ليست خطورتها في نسبة واحدة، بل هي على درجات؛ فبعضها شرك وكفر صريح - كما سترى- وبعضها دون ذلك، ولكن يجب أن يعلم أن أصغر بدعة يأتي بها الرجل في الدين هي محرمة بعد تبين كونها بدعة، فليس في البدع كما يتوهم بعضهم ما هو في رتبة المكروه فقط، كيف ورسول الله ﷺ يقول: «كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار» أي صاحبها[2]!! فتأملوا يا مسلمين!

أي بدعة أعظم مما جاء به السلفية بهذه الأفكار الجهنمية؟!

(١) مناسك الحج والعمرة: ص٦٠ للألباني، السلفية الوهابية: ص٦٧.

(٢) المصدر السابق.

ابن باز وزيارة قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم

وأي ضلال أكبر من ضلال من يدعو إلى قلع قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مسجده، أو من يرى أن أعظم مصيبة عليه أن يرى قبته النوراء تناطح عنان السماء كابن باز وأضرابه وأشكاله الذين أعماهم التعصب فعميت بصائرهم قبل أبصارهم!!

وهل تعلم أن ابن باز وهو مفتي الديار السعودية -في حياته- لم يزر قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان يرفض زيارته ما دامت القبة فوقه أو الضريح حوله؟! هل تتصور وجود مثل هذا الرجل في أمَّة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم؟!

وهل تعلم أنهم يسمونه (بالصنم) ويرفضون زيارته والوقوف على أعتابه! ورغم كل الإهانات التي كانوا وما زالوا يوجهونها إلى رسول الله وأهل بيته الأطهار (صلوات الله عليهم أجمعين)، حتى كانت عصا أحدهم خيراً منه لأنه يقتل بها الحية! وعند محمد بن عبد الوهاب ما هو إلا طارش! هل تعلم ما هي فتاواهم حول هذا الموضوع؟!

حتى الأموات محاربون!

وقبل أن نستطرد بالحديث عن (بقية الفرق) لا بأس بفكرة موجزة عن رأي الإسلام بالقبور وبناء المشاهد ووضع الأضرحة عليها، وذلك لنكون إسلاميين واقعيين، ونعرف كم هو التضليل وسوء التأويل في أقوالهم.

والمصيبة - أخي الكريم - أن تعلم أنهم يحاربونك كإنسان مسلم في الحياة وبعد الممات، كيف يكون ذلك؟!

١- في الحياة:

إذا لم تتبعهم وتعتقد بأفكارهم وتنتهج طريقتهم وتستنّ بسنّتهم كطول اللحية، وقصر الدشداشة (الجلابية) وتكفير الأمة وما أشبه، فإنهم عند ذلك يوجّهون إليك سهامهم، وأقل التهم عندهم الشرك الأصغر، فإذا قلت: (يا رسول الله ﷺ) فذلك مصيبة عندهم، فإنها من الشرك الأكبر فإما أن تتوب أو تُقتل، وإذا عرفوك شيعياً فإنه لا توبة لك عندهم لأنك تستعمل (التقية) وحكمك القتل لا محالة!! فيقيدونك بألف قيد إذا لم تؤمن

بمنهجهم.

٢- عند الموت:

يحاربونك أيضاً لأن المسلمين - حسب زعمهم - لديهم منكرات يجب إزالتها مثل:

أ) الإعلان في المآذن عن موت شخص.

ب) تقديم أكاليل الزهور لوضعها على الميت.

ج) رفع الصوت بالبكاء على الميت أو النياحة أو لطم الخدود.

د) ذهاب النساء مع الرجال إلى المقبرة لدفن الميت.

هـ) رثاء الميت عند القبر، ومدحه بالنثر أو الشعر.

و) قراءة القرآن عند القبر أو الذكر أو المأتم.

ز) الاجتماع إلى أهل الميت في مكان معين للتعزية.

٣- وبعد الموت والدفن في القبر:

يلاحقونك بحربهم الشرسة الخبيثة، بحجة أنه:

أ) يحرم البناء على القبر، والأحجار العالية، وتدهينه والكتابة عليه.

ب) يحرم القيام بعمل حفلة الأربعين. والحول للميت وتوزيع المأكولات.

ج) تحرم زيارة القبور في يوم مخصوص، كيوم الجمعة أو العيد

أو النصف من شعبان[1].

أخي الكريم قد تتعجب وتقول: يا أخي إن هذا الكلام من عندك، أو استنبطته من أعمالهم وما رأيته منهم؟

أقول لك: لا والله.. بل أنقله بكل أمانة وبالحرف الواحد تقريباً من كتاب لهم جميل وأنيق كانوا يوزعونه على حجاج بيت الله الحرام تحت عنوان: (معلومات مهمة عن الدين لا يعلمها كثير من المسلمين) إعداد: محمد جميل زينو.

وكما ترى فإنهم يحرمونك من إعلان موتك، وإتباع أهلك لجنازتك، والتعزية لأهلك فيك، وحتى من قراءة القرآن، أو مجالس الذكر والفاتحة على روحك، ويحرمون أصدقاءك وأحباءك من رثائك سواء بالشعر أو النثر أو إحياء أسبوعك أو سنويتك!!

وكل ذلك مشروع ومندوب له في الشريعة الإسلامية، بل منها ما هو واجب، ومنها ما هو مستحب مؤكداً، لأن رسول الله ﷺ والصحابة كانوا يفعلونها احتراماً لموتاهم.

فكل عمل ينطوي تحت شعار (تعظيم شعائر الله) فهو واجب أو مندوب، وكثير من الأعمال التي نحييها بخصوص الأموات، والقبور هي من هذا القبيل، فلماذا كل هذا التهويل والاستنكار

(١) معلومات مهمة عن الدين: ص١٢١ وما بعدها.

علينا في كل ذلك؟ فالأمة الإسلامية منذ وفاة الشخص الأول من المسلمين، وحتى الشهداء، كانوا يوقرون ويزارون ويصلى عند قبورهم، بل ويجمع رسول الله ﷺ النساء ليبكين على الشهداء كعمه حمزة عليه السلام - أسد الله وأسد رسوله - وعند شهادته قال: «وأما حمزة فلا بواكي له».

وابنته سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) كانت تزور عمّها حمزة، وتصنع من تربته مسبحة تديرها بين أصابعها الشريفة تذكر الله بها، فهل عرفت هنا لماذا يحاربون المسبحة، لأنها من سنن بهجة قلب المصطفى فاطمة الزهراء عليها السلام!

المسلمون وقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من زارني بعد موتي كمن زارني في حياتي»[(١)] و «من حج ولم يزرني فقد جفاني»[(٢)].

والمشهور المؤكد عند أهل البيت الأطهار عليهم السلام أن الإمام علياً وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم أجمعين) كانوا لا ينقطعون ولا حتى يوماً واحداً عن زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهذه كتب التاريخ تذكر مدى حزن وبكاء فاطمة الزهراء على أبيها، وأن أهل المدينة ضجّوا من كثرة بكائها عليه حتى اشتكوها إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فبنى لها بيتاً خارج المدينة تبكي فيه سمّوه (بيت الأحزان)، وهو من المشاهد التي هدمها أصحاب التكفير في السنوات الأخيرة.

حتى إنها في خطبتها الفدكية وفي مسجد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، التفتت في نهايتها إلى القبر الشريف، ونادت برفيع

(١) منتخب كنز العمال: هامش مسند أحمد ج٢ ص٣٩٢.

(٢) العوالم: ج٢ ص٦٧٣.

صوتها ورنة حزنها، وهي تحتجّ على القوم ببيان صحيح كأنما رسول الله كان يتكلم، فمما قالت:

«أيها الناس اعلموا أني فاطمة، وأبي محمد ﷺ أقول عوداً وبدءاً، ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً».

إلى أن قالت: **«أتقولون: مات محمد ﷺ؟ فخطب جليل استوسع خرقه، واستنهر فتقه، وانفتق رتقه، وأظلمت الأرض لغيبته، وكسفت النجوم لمصيبته، وأكدت الآمال، وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، وأزيلت الحرمة عند مماته. فتلك -والله- النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة، ولا بائقة عاجلة**[1].

إلى أن قالت شعراً:

قد كان بعدك أنباءٌ وهنبثة
لو كنت شاهدها لم تكثر الخطبُ
إنا فقدناك فَقْدَ الأرض وابلها
واختل قومك فاشهدهم وقد نكبوا
وكل أهل له قُربى ومنزلةٌ
عند الإله على الأدنين مقترب

(١) العوالم: ج٢ ص٦٧٣.

أبدتْ رجالٌ لنا نجوى صدورهم

لما مضيتَ وحالت دونك التّربُ

تجهمّتنا رجالٌ واستُخِفَّ بنا

لما فُقِدتَ وكلُّ الإرث مغتصَبُ

وكنت بدراً ونوراً يُستضاء به

عليك تنزل من ذي العزة الكتب

وكان جبريل بالآيات يؤنسنا

فقد فُقِدتَ فكلّ الخير محتجَبُ

فليتَ قبلك كان الموت صادفنا

لما مضيت وحالت دونك الكثب

إنّا رزينا بما لم يُرزَ ذو شجن

من البرية لا عجم ولا عرب[1]

* * *

ألم يكن هنا رثاء من سيدة النساء لأبيها (صلوات الله عليهم)؟ لماذا لم يستنكر عليها المستنكرون يومها، أم أن هؤلاء أعلم منها ومن الصحابة الذين سمعوها بالكتاب والسنة - والعياذ بالله -؟!

(١) فاطمة الزهراء عليها السلام من المهد إلى اللحد: ص٥٠٢.

وهنا شأن الإمام علي عليه السلام قبل فاطمة الزهراء عليها السلام، فإن قبر أخيه وحبيبه رسول الله صلى الله عليه وآله كان ملاذه دائماً وأبداً، لا سيما حينما قادوه كرهاً للبيعة، وبعد أن هددوه بضرب العنق إذا لم يبايع، فقال عليه السلام: «أتقتلون عبد الله وأخا رسوله»؟

فقال عمر: عبد الله نعم، وأما أخو رسوله فلا علم لنا بذلك، بايع وإلاّ ضربت عنقك.. فلاذ بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله ضاجاً عاجاً باكياً إلى الله، يبث شكواه إلى أخيه وابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله مما لاقاه من جفاء وجفاف وغلظة أخلاق القوم، والقصة مشهورة ومعروفة.. لا بل عندما لحدت سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام في قبرها الشريف ليلاً توجه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قائلاً: «السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعة اللحاق بك، قلَّ يا رسول الله عن صفيتك صبري، ورقَّ عنها تجلّدي إلاّ أن في التأسّي بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تَعَزٍّ، فلقد وسّدتُك في ملحودة قبرك، وفاضت بين نحري وصدري نفسك.. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

لقد استُرجِعَت الوديعة، وأُخذت الرهينة، أما حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهّد إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم.. وستنبئك ابنتك بتضافر أمَتك على هضمنها حقها فأحفها السؤال، واستخبرها الحال.. هذا ولم يَطُل العهد ولم يخلُ منك الذكر.

والسلام عليكما سلام مودِّعٍ، لا قالٍ ولا سئمٍ، فإن أنصرف فلا

عن ملالة، وإن أُقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين»[1].

وكان يقول شعراً كذلك:

أرى علل الدنيا عليَّ كثيرة
وصاحبها حتى الممات عليل
لكل اجتماع من خليلين فرقة
وإن بقائي عندكم لقليل
وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد
دليل على أن لا يدوم خليل[2]

أليس هذا بكاءً وتوجعاً وعويلاً ورثاءً؟ قل لي بربّك أيها القارئ المنصف، هل تعمل بسنة وسيرة علي بن أبي طالب وفاطمة بنت محمد (صلوات الله عليهم أجمعين)، أم تعمل بأقوال خوارج العصور المتأخرة كابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وغيرهم؟!

هذا وقد نقل عن الصحابة بطرق عديدة أن الصحابة كانوا يلجؤون إلى قبر النبي ﷺ يندبونه في الاستسقاء ومواقع الشدائد وسائر الأمراض[3].

---

(١) موسوعة البحار: ج٤٣ ص١٨٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) وفاء الوفاء: ج٤ ص ١٣٧٢.

ولا يخفى أن وفاة المتوسَّل به لا تنافي التوسل أصلاً، فإن مكانته عند الله لا تزول بالموت كما هو واضح، هذا مع أنهم في الحقيقة أحياء كما ذكر الله عزّ وجل في حال الشهداء، فالأنبياء والأولياء (وهم شهداء على كل حال) أحق بذلك.

والأرواح لا تفنى بالموت والعبرة بها لا بالأجساد الفانية، وإن كانت أجساد الأنبياء عليهم السلام لا تبلى كما نص عليه في الأخبار[١].

وفي الرواية أن الشهداء وسائر المؤمنين إذا زارهم المسلم وسلّم عليهم عرفوه وردّوا عليه السلام[٢].

وينقلون عن السيد المسيح أن روح الله عيسى عليه السلام لما دفن مريم العذراء قال: السلام عليك يا أماه فأجابته من جوف القبر: وعليك السلام حبيبي وقرة عيني[٣].

وهناك قصّة نبيّ الله (حيقوق) أو (حبقوق) الإسرائيلي الذي وجدوه كما هو في قبره منذ سنوات، وكانت المخابرات الإسرائيلية تعمل على سرقته.. وكذلك قصص الحر الرياحي والشيخ المفيد، وغيرهم كثير ممن لم تبل أجسادهم، ولدينا قول يجري كالمثل: السعيد من يحفظ لاشته من أن تأكله الأرض،

(١) سنن ابن ماجة: ج١ ص٥٢٤.

(٢) وفاء الوفاء ج٤ ص١٣٥١.

(٣) راجع: الوهابية للبلاغي: ص٤٧.

والمداومة علَى غُسل الجمعة يفيد في ذلك كما تؤكد الروايات، أما ابن عبد الوهاب يقول: الشيعة إذا ماتوا تحولوا إلى قردة وخنازير ، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

البناء على القبور

الزيارة مكروهة، وبالتخصيص محرمة، ونداؤها من الشرك، والبناء عليها من أكبر الكبائر.. عند السلفية والوهابية، كيف ولماذا؟

اعلم أن البناء على قبور الأنبياء والعباد المصطفين تعظيم لشعائر الله، وهو من تقوى القلوب ومن السنن الحسنة.. حيث إنه احترام لصاحب القبر، وباعث على زيارته، وعلى عبادة الله عزّ وجلّ - بالصلاة والقراءة والذكر وغيرها- عنده، وملجأ للزائرين والغرباء والمساكين والتالين والمصلّين.

بل هو إعلاء لشأن الدين، فعن النبي ﷺ: «**مَن سنّ سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة**»[1]. وقد بُني على مراقد الأنبياء عليهم السلام قبل ظهور الإسلام وبعده، فلم ينكره النبي ﷺ ولا حتى أحد من الصحابة والخلفاء، كالقباب المبنية على قبر دانيال في شوشتر، وهود وصالح ويونس وذي

(١) مسند أحمد: ج٤ ص٣٦١.

الكفل عليهما السلام والأنبياء في بيت المقدس وما يليها، كالجبل الذي دفن فيه موسى عليه السلام (بالأردن)، وبلد الخليل مدفن سيدنا إبراهيم عليه السلام (في فلسطين).

بل الحِجْرُ المبني جوار الكعبة المشرفة على قبر سيدنا إسماعيل عليه السلام وأمه (الذي صار للمسلمين مصلّى)، وأول من بنى حجرة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم باللبن - بعد أن كانت مقومة بجريد النخل- عمر بن الخطاب، ثم تناوب الخلفاء على تعميرها[1].

وفي رواية البنائي واعظ أهل الحجاز، عن الإمام الصادق عن جده أمير المؤمنين عليهما السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال للإمام علي عليه السلام: «والله لتقتلن في أرض العراق وتدفن بها، فقلت: يا رسول الله، ما لمن زار قبورنا، وعمرها، وتعاهدها؟ فقال: يا أبا الحسن، إن الله جعل قبرك وقبر ولديك من بقاع الجنة، وعرصة من عرصاتها، وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه، وصفوة من عباده، تحن إليكم وتحتمل المذلة والأذى، فيعمّرون قبوركم، ويكثرون زيارتها تقرباً منهم إلى الله تعالى، ومودة منهم لرسوله أولئك -يا علي- المخصّصون بشفاعتي الواردون حوضي، وهم زوّاري غداً في الجنة، يا علي من عمّر قبوركم، وتعاهدها فكأنما

---

(١) الوهابية: ص٤٩، وفاء الوفاء: ج٢ ص٦٤٧.

أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس»[1].

هذا حديث رسول الله ﷺ يؤكد به على بناء المشاهد، ورفع المراقد المقدسة لأهل البيت عليهم السلام، فمن أين جاء السلفية بقولهم: أما البناء على القبور فممنوع إجماعاً؟!

من أين الإجماع الكاذب وهذه البدعة جاؤوا بها بعد ١٢٠٠ سنة، ومن سنّة رسول الله ﷺ وعمل أعلام الأمة بالبناء على القبور الطاهرة للأولياء وعباد الله الصالحين.

وأزيدك أن الله سبحانه ذكرها بالتقدير والتعظيم لفاعلها، هذا غير أنها من شعائر الدين، وذلك لما ورد في قصة أهل الكهف وذلك بقوله تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ أعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَأنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً رَبُّهُمْ أعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾[2].**

كما ترى - عزيزي الكريم- أن الآية تثبت كلا الأمرين: بناء القبور، واتخاذها مساجد..

١- ابنوا عليهم بنياناً أي مشهداً وبناءً عالياً، ليعرف ويزار من قبل الغير.

---

(١) موسوعة البحار: ج١٠٠ ص١٢٠.

(٢) سورة الكهف: الآية ٢١.

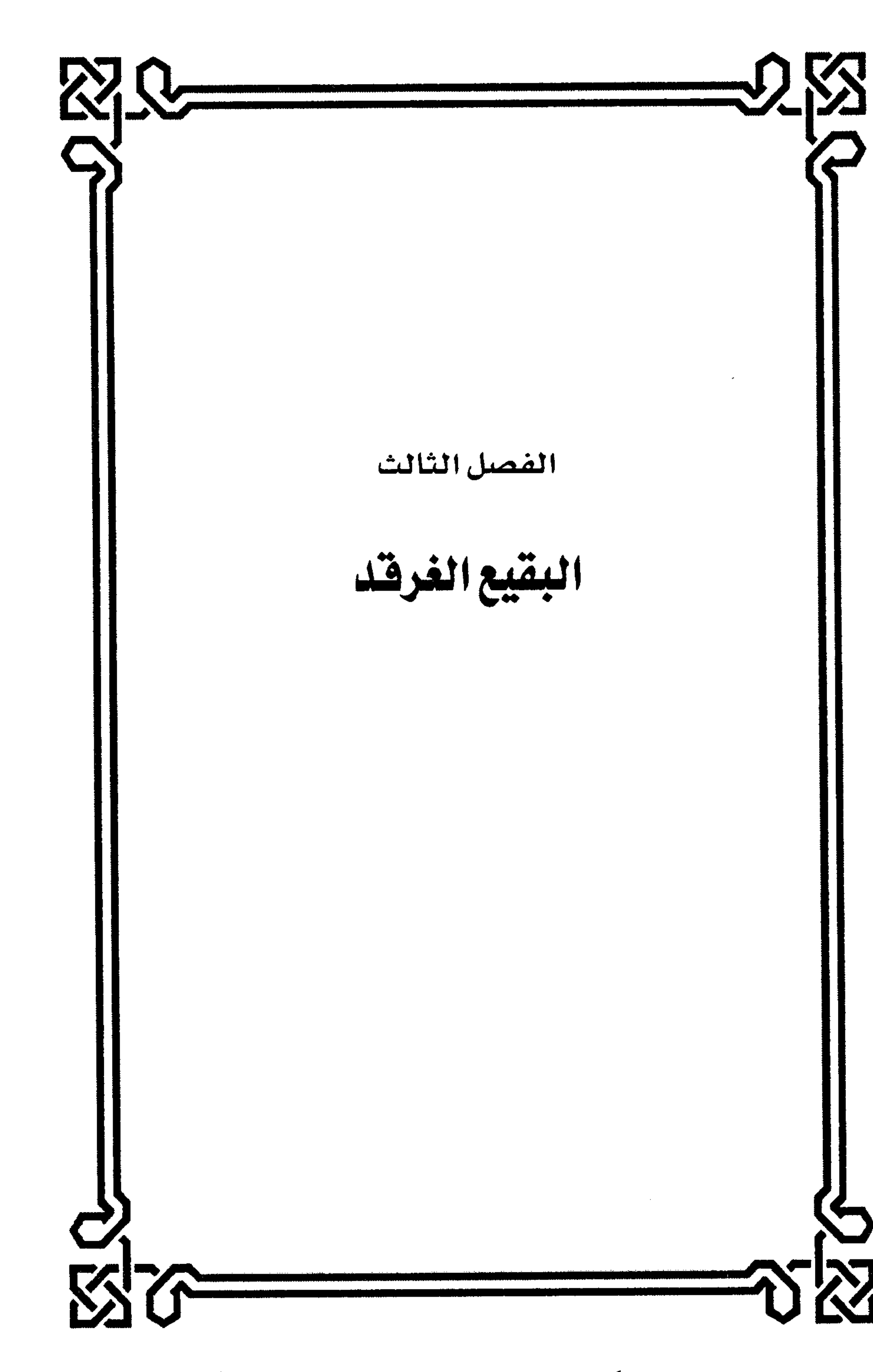
٢- لنتخذن عليهم مسجداً، وهذا أمر واضح ببناء مسجد في ذاك المكان، (وعليهم) واضحة البيان على أن المسجد كان عليهم أي على قبورهم، فإذا فعل أولئك المؤمنون الأوائل هذا الفعل واقرهم الله سبحانه على عملهم في كتابه الكريم، فلماذا لا يدعونا نعمّر قبور أئمة المسلمين والعباد الصالحين لتكون مساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً؟

والعجيب أن الوهابية تبني عقيدتها هذه على حديث مضطرب لم تروه كتب الصحاح المعتبرة، وهو: عن أبي الهياج، أو أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام بعث أبا الهياج وقال له: «**لأبعثنّك فيما بعثني فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: أن أسوّي كل قبر، وأن أطمس كلّ صنم**»[1].

فهل كان رسول الله صلى الله عليه وآله يبعث الإمام علياً عليه السلام ليهدم قبور المسلمين في البقيع وغيره، أم أنه كان يبعثه ليدك صروح الشرك، ويهدم أبنية الكفر، ويكسر أصنام العرب؟!

تلك القبور التي يعبد أصحابها من دون الله، وتلك الأماكن التي بنيت للأصنام أصلاً هي التي كان يحاربها أمير المؤمنين عليه السلام، وليس قبور أنبياء الله وأوليائه والصالحين من عباده!! لكن هؤلاء يأخذون ما أرادوا ويتركون ما أراد الله وأمر رسوله الكريم صلى الله عليه وآله.

(١) مسند أحمد: ج١ ص ٨٩ ح١١١.



الفصل الثالث

البقيع الغرقد

مأساة البقيع

وتبقى مأساتنا مع الخوارج في هذا الزمان مستمرة، إلاّ أن لمأساة البقيع الغرقد حديث آخر وألم وجرح في القلب لا يندمل، وما زال يتجدد في كل لحظة وكل يوم وكل عام.. فما قصة قبور البقيع المقدسة مع أولئك الخوارج على الناموس الإنساني؟

البقيع (لغةً): موضع فيه أروم (أصول) شجر من ضروب (أنواع) شتى.. وبه سمّي بقيع الغرقد، وهي مقبرة بالمدينة. والغرقد: شجر له شوك كان ينبت هناك - ويسمى أيضاً العوسج- فذهب وبقي الاسم ملازماً للموضع.

والبقيع من الأرض: المكان المتسع ولا يسمى بقيعاً إلا وفيه شجر[1]. وفي تاج العروس قريب من هذا التعريف.

الموقع الجغرافي:

يقع في الاتجاه الجنوبي الشرقي من الروضة النبوية

---

(١) لسان العرب: مادة (بقع).

المباركة غير بعيد عنها، وهو على شكل مستطيل وكان فيما مضى متصلاً بالمدينة المنورة وفصل عنها بالسور، ولكن بعد النهضة العمرانية صار ضمن المدينة وله طرق وممرات، وألحق إليه الكثير من الأرض لكثرة الدفن فيه على طول الأيام الخالية إلى اليوم.

البقيع في التاريخ:

تروي كتب الأخبار عن كعب الأحبار اليهودي أنه قال: نجد مكتوباً في الكتاب (التوراة) أن مقبرة بغربي المدينة على حافة سبيل، يحشر منها سبعون ألفاً ليس عليهم حساب.

وقال: نجدها في (التوراة) كفّته محفوفة بالنخيل.

قال سعيد المقبري: قدم مصعب بن الزبير حاجاً ومعتمراً ومعه ابن رأس الجالوت (عالم وحبر اليهود الأعظم) فدخل المدينة من نحو البقيع، فلما مرَّ بالمقبرة، قال ابن رأس الجالوت: إنها لهي. قال مصعب: وما هي؟

قال: إننا نجد في كتاب الله (التوراة) صفة مقبرة في شرقيها نخيل وغربيها بيوت، يبعث منها سبعون ألفاً كلهم على صورة القمر ليلة البدر، وقد طفتُ مقابر الأرض فلم أرَ تلك الصفة حتى رأيت هذه المقبرة.

وفي رواية أخرى: هذه التي نجدها في كتاب الله[1].

البقيع في الشعر:

كثيرة هي الأشعار التي قيلت في بقيع الغرقد في الجاهلية والإسلام، نقتطف أبياتاً للإشارة فقط:

أين الذين عهدتهم في غبطة

بين العقيق إلى بقيع الغرقد

وحسان بن ثابت يقول راثياً رسول الله ﷺ:

وجهي يقيك التُّرب لهفاً ليتني

غُيبت قبلك في بقيع الغرقد

ولابن معصوم المدني الذي يذكر القبة الشريفة والبقيع في أبيات:

يـا عـين هـنا المـصطفى أحمـدْ

خيـرُ الـورى والـسيدُ الأمجـدْ

وهـذه القبـة قـد أشـرقت

دون علاهـا الـشمس والفرقـدْ

وهـذه الروضـة قـد أزهـرت

فيهـا المنـى والـسُّؤل والمقـصدْ

(١) قبور أئمة البقيع قبل تهديمها: ص ٢٤.

هــذا المـصلى والبقيــع الــذي

طــاب منـــه المنهـــل والمـــوردْ

والـشيخ عبـد اللطيـف المـدني الـذي ينـشد معـدداً المـشاهد والمراقد المقدسة قبل هدمها:

ارحـــل لطيبـــةَ لا تـــؤمَّ ســـواها

وعـــساك أن تحظـــى برؤيـــة طاهـــا

هـــي طيبـــةٌ طابـــت وطـــاب أصـــولها

ومدينـــــةٌ ربُّ الـــــسماء بناهـــــا

وبهـــا البقيـــع وأهلـــه فـــي جَنَّـــةٍ

شـــهداؤها فـــي جنّـــة مأواهـــا

وكـــذاك عبـــاسٌ وســـيدنا الحـــسنْ

فـــي قبـــةٍ والنـــور مـــن أعلاهـــا

وبـــه الرضـــية أمّ ســـيدنا علـــي

وكـــذا حليمـــةُ إن بـــررتَ ثراهـــا

ونـــساءُ خيـــر المرســـلين قبـــورهن

مـــشهورة وســـط البقيـــع تراهـــا

* * *

والسيد محسن الأمين العاملي (رحمه الله) يقول:

يــا قبــةً بثــرى البقيــع منيعــةً

شَــأتِ الفراقــدَ والــسُّهى فــي مــصعد

ولقبّــــة الأفــــلاك دون منالهــــا

شــأو الــضليع غــداً وســير المجهــد

شــعّت بهــا أنــوار آل محمــد

بــسنىً علــى طــول الزمــان مخلــد

مــن كــلّ فــذٍّ فــي البريــة مغتــذٍ

دَرَّ النبـــوّة بالإمامـــة مرتـــدي

فــي بقعــة ودت نجــوم سـمائها

فـي الأرض من حـصبائها لـو تفتـدي[1]

* * *

(١) قبور أئمة البقيع قبل تهديمها: ص٢٤.

مكانة البقيع وفضل زيارته

للأماكن قدسيّةٌ عند الله سبحانه وتعالى، كمكة المكرّمة التي شرّفها الله ببيته، والمدينة المنورة التي نوّرها برسوله ﷺ، وبيت المقدس الذي بارك حوله، وهكذا النجف الأشرف ووادي السلام، وكربلاء الطاهرة المقدسة..

فللمكان قدسية كما للزمان مواسم مباركة كشهر الله (شهر رمضان)، والعشر الأوائل من ذي الحجة وغيرها.. وقد يجتمع المقدسان بالزمان والمكان فيزداد شرف كليهما فيكون نوراً على نور.

وقيل قديماً: المكان بالمكين والدار بساكنها، والأرض بأهلها..

والبقيع وإن كانت ذات شرف من الأرض، إلا أن شرفها قد ازداد بتلك الأجساد الطاهرة المقدسة التي دفنت فيها، وسنستعرض أسماء النجوم الزاهرة بتلك الأرض فيما بعد بإذن الله.

وفي رواية عن أبي موهبة مولى رسول الله قال ﷺ: «**إني أُمرت أن أستغفر لأهل البقيع..**»[1].

وفي رواية أخرى عن عطاء بن يسار قال ﷺ: «**السلام عليكم قومٌ موجّلون أتانا وأتاكم ما توعدون، اللّهم اغفر لأهل بقيع الغرقد**»[2].

وفي رواية أم قيس قال ﷺ: «**يحشر من هذه المقبرة سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، كأنّ وجوههم القمر ليلة البدر..**»[3].

وعنه (صلوات الله عليه وآله): «**مقبرتان تضيئان لأهل السماء كما تضيء الشمس والقمر لأهل الدنيا؛ البقيع بقيع أهل المدينة، ومقبرة بعسقلان**»[4].

وهناك أحاديث وروايات أخرى في البقيع لا سيما عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولكن يجب أن لا يفوتنا هنا الحديث الشريف عن الحسن قال: أتى النبي ﷺ على بقيع الغرقد فقال: «**السلام عليكم يا أهل القبور-ثلاثاً- لو تعلمون ما الذي نجّاكم الله منه مما هو**

(١) بحار الأنوار: ج٢٢ ص٤٦٦، شرح نهج البلاغة: ج١٠ ص١٨٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مستدرك الوسائل: ج٢ ص٣٠٩.

(٤) بحار الأنوار: ج٢٢ ص٤٢٢.

كائن بعدكم، قال: ثم التفت، فقال: هؤلاء خير منكم.

قالوا: يا رسول الله إنما هم إخواننا آمنا كما آمنوا، وأنفقنا كما أنفقوا، وجاهدنا كما جاهدوا، وأتوا على أجلهم ونحن ننتظر.

فقال ﷺ: **إن هؤلاء قد مضوا لم يأكلوا من أجورهم شيئاً، وقد أكلتم من أجوركم ولا أدري كيف تصنعون بعدي».**

يا رسول الله ﷺ تعال واسمع أقوال هؤلاء، وانظر إلى أعمالهم التي يندى لها جبين الإنسانية لبشاعتها وفظاظتها.

مَن دُفن في البقيع؟

البقيع مقبرة عظيمة وكبيرة وجليلة القدر، وفيها ما شاء الله من الأجساد لأولئك الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، يقال: أن أول من دفن فيها هو الصحابي الجليل عثمان بن مظعون (رضوان الله عليه)، وهو أول صحابي من المهاجرين يتوفى في المدينة المنورة، وهو من أكابر الصحابة الكرام.

والنبي الأكرم ﷺ قام بنفسه بدفن هذا الرجل الجليل، وعندما أهالوا عليه التراب أمر أحدهم فجاء بحجرة كبيرة، وحسر ﷺ عن ذراعيه وحملها مع الرجل ووضعها عند الرأس، وقال: «يكون هذا علامة لقبر أخي».

وهكذا كان عثمان بن مظعون فاتح باب المقبرة لتتعالى الجثامين تباعاً إليها، فكانت أول مقبرة للمسلمين في المدينة المنورة، فكل من كان يموت أو يستشهد ينقلونه إليها لينضم إلى ترابها الطاهر..

ومن الأسماء اللامعة والبدور الساطعة التي شعّت من أرض

البقيع الأسماء التالية:

١- الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين على رواية.

٢- الإمام الحسن بن علي الزكي المجتبى السبط الشهيد عليه السلام.

٣- الإمام علي بن الحسين عليه السلام زين العابدين وسيد الساجدين.

٤- الإمام محمد بن علي عليه السلام باقر علم النبيين من الأولين والآخرين.

٥- الإمام جعفر بن محمد عليه السلام الصادق الصدوق أبو عبد الله.

هؤلاء الكرام البررة من المعصومين من أئمة المسلمين، دفنوا في بقيع الغرقد، وإلى جانبهم الكثير من رجالات الإسلام ونسائه كذلك مثل:

١- إبراهيم بن النبي محمد صلى الله عليه وآله.

٢- إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

٣- العباس بن عبد المطلب عم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

٤- عقيل بن أبي طالب على رواية.

٥- عبد الله الجواد بن جعفر الطيار بن أبي طالب عليه السلام.

٦- محمد بن الحنفية بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

٧- عبد الله بن جعفر الطيار على رواية.

٨- المقداد بن الأسود الصحابي الجليل.

٩- سعد بن معاذ.

١٠- قيس بن سعد بن عبادة.

١١- أسامة بن زيد بن حارثة.

١٢- القاسم بن محمد بن أبي بكر.

١٣- مالك الأشتر النخعي على رواية.

هذا ويروي أصحاب السيرة والتواريخ أن عشرة آلاف من الصحابة دفنوا في ذاك البقيع الطاهر.

وأما أسماء النساء ممن دفنّ فيه:

١- فاطمة بنت أسد الهاشمية أم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢- صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣- جمانة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وآله.

٤- أم البنين فاطمة بنت حزام الكلابية زوجة الإمام علي عليه السلام.

٥- أم الحسن زينب الكبرى بنت الإمام علي عليه السلام توفيت مع ولدها زيد - على رواية -.

٦- رقية الكبرى بنت أمير المؤمنين علي عليه السلام.

٧- سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام - على رواية -.

٨- حليمة السعدية، مرضعة النبي صلى الله عليه وآله.

وهناك تسعة من نساء النبي صلى الله عليه وآله وقبورهنّ خلف مشهد أئمة البقيع عليهم السلام وهنَّ:

١- سودة بنت زمعة.

٢- عائشة بنت أبي بكر.

٣- حفصة بنت عمر بن الخطاب.

٤- أم سلمة المخزومية.

٥- زينب بنت جحش.

٦- جويرية بنت الحارث.

٧- رملة السفيانية أم حبيبة.

٨- صفية بنت حيي بن أخطب.

٩- مارية القبطية أم إبراهيم عليه السلام.

هذه أسماء لأشخاص بعضها لامعة وعملاقة في دنيا الإسلام والعقيدة، وكانت قبورها معمورة ولها أضرحة وقباب تناطح قبة الفلك، كثير زوارها عظيم أجرها يجتمعون فيها من كل حدب وصوب للصلاة والدعاء والذكر للمولى الجليل.

وما زالوا كذلك حتى جاء أتباع محمد بن عبد الوهاب، واستولوا على مقدرات الحجاز وراحوا يعيثون في الأرض الفساد، فهدّموا تلك المراقد المقدسة، وسرقوا ونهبوا كل ما فيها من أثاث ومقتنيات فنية رائعة.

واللافت للنظر أن أول من بنى على القبور للأئمة الأربعة عليهم السلام في البقيع، هو مجد الملك أبو الفضل أسعد بن محمد بن موسى الماردستاني القمي، من وزراء السلطان السلجوقي وذلك سنة

٤٨٨هجرية.

ثم قام بترميمها وتحسينها الخليفة العباسي الناصر لدين الله بن المستضيء بالله في سنة (٥٦٠ للهجرة)، وهناك وصوفات كثيرة للمنائر والقباب الشامخة التي كانت تملأ أرض البقيع، لا سيما الأئمة الأربعة (صلوات الله عليهم)[١].

(١) إذا أحببت التفصيل راجع الكتب التي تحدثت عن تلك الآثار الطاهرة ومنها (موسوعة العتبات المقدسة).

البقيع قبل الزلزال

وأما البقيع فهو خارج سور المدينة ومحاذٍ للروضة المشرّفة، ما بين الجنوب والمشرق، وفيه القبور المنوّرة الأربعة للأئمة الكرام عليهم السلام أعني: أبا محمد الحسن المجتبى، وعلي بن الحسين زين العابدين، ومحمد بن علي باقر العلوم، وجعفر بن محمد الصادق القول (صلوات الله وسلامه عليهم)، وتزار فاطمة عليها السلام في قبتهم مما يلي وجه ولدها من القبلة.

وفي تلك القبة المنوّرة مدفن العباس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وخارج القبة بفاصلة قليلة من طرف (نجم) سهيل، قبة هي القبة التي يُقال أنها مبنية على بيت الأحزان، وكانت فاطمة عليها السلام تخرج إليه وتبكي على أبيها فيه.

وتشتمل مقبرة البقيع على قباب كثيرة مثل: قباب أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأولاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومرضعته حليمة السعدية، وفاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام [1].

---

(١) قبور أئمة البقيع: ص٨٢، عن كتاب (الرحلة المكية) للسيد عبد الله خان الموسوي.

البقيع بعد الزلزال

زار المستر روتر (Eldon Rutter) مقبرة البقيع عام (١٩٢٥م)[١] بعد تهديمها بأشهر قليلة فكتب: وحينما دخلت إلى البقيع وجدت منظره كأنه منظر بلدة قد خُربت عن آخرها، فلم يكن في أنحاء المقبرة كلها ما يمكن أن يرى أو يشاهد، سوى أحجار مبعثرة، وأكوام صغيرة من التراب لا حدود لها، وقطع من الخشب والحديد مع كتل كثيرة من الأحجار والآجر والإسمنت المنكسر هنا وهناك.

قد كان ذلك أشبه بالبقايا المبعثرة لبلدة أصابها الزلزال فخرّبها كلها، ووجدت بجنب السور الغربي للمقبرة أكواماً كبيرة من ألواح الخشب القديمة، والكتل الحجرية وقضبان الحديد، وكان بعض ما جمع من المواد الإنشائية المبعثرة، وكُوِّم هناك بانتظام، وقد أزيلت الأنقاض من بعض الممرّات

(١) راجع: موسوعة العتبات المقدسة (الجزء الثاني) ص٣٢٥-٣٢٨ للأستاذ جعفر الخليلي.

الضيقة حتى يتمكن الزائرون أن يمرّوا منها ليصلوا إلى مختلف أنحاء المقبرة.

فيما عدا ذلك لم يكن هناك ما يدل على شيء من الانتظام، فقد كان كلّ شيء عبارة عن وعورة تتخلّلها مواد الأبنية المهدّمة، وشواهد القبور المبعثرة، ولم يحدث هذا بفعل الزمن وعوارض الطبيعة بل صنعته يد الإنسان عن تقصّد وعمد.

فقد هُدّمت واختفت عن الأنظار القباب البيضاء التي كانت تدلّ على قبور آل البيت النبوي في السابق، وقبر الإمام مالك وغيرهم، وأصاب القبور الأخرى نفس المصير، فسُحقت وهُشّمت حتى الأقفاص المصنوعة من أعواد الجريد التي كانت تغطّي قبور الفقراء من الناس قد عُزلت جانباً وأحرقت.

وحينما توغّلنا داخل المقبرة لمشاهدة الأكوام، التي تدلّ في يومنا هذا على قبور المسلمين الأوائل، الذين صنعوا التاريخ الحافل، سمعتُ دليلي عامداً يكرّر بهمس ويقول: أستغفر الله، أستغفر الله، لا حول ولا قوة إلا بالله.. وكانت القلّة ممن بقي من سدنة القبور التي بقيت معالمها شاخصة للعيان، يقفون أو يجلسون بجنبها بأوجه كئيبة ومن دون أن تبدر منهم أية حركة، فلم يطلبوا الصّدقة ولم يتكلّموا بشيء سوى بعض الكلمات الخافتة، برغم عدم وجود أحد من الوهابيين على مقربة

منهم، غير اثنين من عبيد ابن سبهان في الباب. لكن بعض النخاولة[1] كانوا لا يزالون منشغلين في التقاط بعض القطع الصالحة لاستعمالها في بيوتهم، من الخشب وغيره يلتقطونها من بين الخرائب والأنقاض.

ليس بوسع هؤلاء النخاولة أن يدفنوا موتاهم في العادة بين قبور الأولياء في البقيع، ولكنهم قاموا الآن تحت إشراف السلطة وإرغامهم على تهديم وتدمير قبور المسلمين الموجودة في البقيع.

لقد سرنا في ممرٍّ ضيِّق، وكنا نتجوّل بين الأنقاض والأزبال المبعثرة هنا وهناك، ثم توجّهنا إلى جهة من المقبرة، وفيما كنا نخطو بخطوات بطيئة التقينا بجماعات من الهنود التي كانت راجعة من زيارة هذه المقبرة، وكان الذي يتقدم هذه الجماعاتٍ من الهنود رجلاً مسنّاً ذا لحية طويلة وقد خطَّ الشيب سوادها. كان وهو يمشي منتصب الرأس لا يحرّك عينيه يمنة ولا يسرة، ينظر إلى الإمام على الدوام، والدموع تنحدر من عينيه بتيار مستمر، أما الذين كانوا يسيرون وراءه فقد نظروا إلينا نظرة خاطفة ثم حولوا أنظارهم إلى الأمام بسرعة، ثم بعد ذلك وصلنا إلى مرتفع بسيط، وعندئذٍ عرفت سبب الحزن الذي كان يبدو على الهندي المسن والذي كانت الدموع تنهمر من عينيه، فقد كانت هناك بين أيدينا على الأرض قطعة من الخشب يظهر أنها

(١) لفظة تطلق على أتباع أهل البيت عليهم السلام في المدينة المنورة.

مقلوعة من صندوق خشبي كان موضوعاً على أحد القبور، فعلمت أنه كان يبكي على هذه القطع من الأخشاب التي كانت من بقية الصناديق التي توضع على قبور المسلمين سابقاً، ورأيت هندياً آخر كان جالساً بجنب خشبة وهو يبكي وينتحب على مصير قبور المسلمين المهدّمة(١).

لا يا مستر، لا يبكون على الأخشاب، ولا ينتحبون على صناديق، بل كانوا يبكون على أئمتهم وسادتهم وقادتهم في هذه الحياة..

كانوا يبكون أصحاب القبور والأضرحة، لأننا لا نبكي على الحجارة والحديد والأخشاب كما يتصور هذه الجماعة! بل نبكي على تلك الأجساد الطاهرة والأرواح الزاكية لأئمة المسلمين من آل ياسين عليهم السلام، وقد نادى القائل:

أمرُّ على الديار ديار ليلى
أقبِّل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حبّ الديار شغفن قلبي
ولكن حبّ من سكن الديارا

نعم... إنها لداهية عظمى ومصيبة كبرى يندى لها جبين الإنسانية والتاريخ، أن تتهدم تلك القباب الشامخة التي ﴿أَذِنَ اللهُ

(١) قبور أئمة البقيع قبل تهديمها: ص٨٥ - ٨٦.

أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾[1] ويسبح له فيها **﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾**[2]، عباد صالحون يقصدونها للزيارة ومواصلة الودّ مع رسول الله ﷺ وعبادة ربّ العالمين.

ألا يفجع من يزورهم وهو قاصد من آلاف الأميال أن يرى القباب مهدمة، والأضرحة مهشمة، والقبور منتهكة، والحرمات لأصحاب الحرمة العالية معتدى عليها؟!

بلى والله إنّ المؤمن حقاً تسيل دموعه إذا ذكر عنده الحبيب المصطفى ﷺ شوقاً إليه، أو فاطمة الزهراء على ظلامتها وضلعها المكسور، والإمام الحسن المجتبى المسموم وظلامته، والإمام السجاد المهضوم وعبادته، والإمام الباقر وعلمه، والإمام الصادق وحديثه النوراني (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

فترى المسلمين كافة يقصدون المدينة المنورة ليستنيروا بأنوار الأئمة العظام عليهم السلام ويتمرّغون بتراب القبور، فيمنعونهم من الزيارة والبكاء والوصول حتى إلى القبر الشريف في هذه الأيام!

العيون تدمع، والقلوب تخشع، والفؤاد يتفطّر، والنيران تتأجّج في

(١) سورة النور: الآية ٣٦.

(٢) سورة النور: الآية ٣٧.

القلوب كالبراكين الثائرة، فتراهم يتنفّسون الصعداء لأن أنفاسهم مكبوتة وحلوقهم مكظومة، وكم لنا من قصّة مع أولئك الجفاة الغلاظ الذين يقفون ولا عمل لهم إلاّ تكفير الأمة، ورمي المؤمنين بالشرك - والعياذ بالله- وستأتيك بعض القصص بهذا الخصوص فيما بعد إن شاء الله.

نقلت لك - عزيزي القارئ- ما تقدم وباختصار ليكون شاهداً محايداً لا يميل مع أحد، وكأنه آلة تصوير تنقل ما هو موجود أمام عدستها مباشرة.

المنظمات العالمية للدفاع عن البقيع

وليس عجيباً ولا غريباً من الأجهزة العالمية والمنظمات والهيئات الدولية أن تهتم لمثل تلك الأماكن المقدسة والمشاهد المشرفة، فتصورها وتحتفظ بمعالمها على أساس أنها تراث إنساني عالمي لا يخص جماعة أو أمّة أو دولة. فتوجهت تلك المنظمات إلى الحكام في بلاد الحجاز لكي لا يهدموا شيئاً من ذاك التراث العظيم، علماً أن ما يهم هؤلاء إنما هو الشكل والظاهر ونحن نهتم بالمضمون والباطن..

وهناك منظمة إسلامية عالمية مقرها لندن - المنظمة العالمية للدفاع عن الأماكن المقدسة- أصدرت كتاباً تحت عنوان (البقيع المنوَّر) جاء فيه:

لقد استنكر العالم الإسلامي بأسره عملية الهدم والتخريب للأماكن المقدّسة والأضرحة المباركة والبقاع المكرمة، ولا يزال يستمر هذا الاستنكار بصور مختلفة منها:

١- عقد المؤتمرات: عقد العديد من المؤتمرات.. لتدارس تاريخ

تدمير الأماكن المقدسة وأسبابه، وأهدافه، وإعادة إعمار البقيع والأضرحة المباركة.

٢- **وضع الأبحاث:** من تأليف الكتب والبحوث حول تلك الأماكن، والتحقيق حولها علمياً وتاريخياً.

٣- **نشر المجلاّت:** نشر مجلات وجرائد بهذا الخصوص في اليوم الثامن من شوال لإحياء ذكرى حادثة البقيع المظلوم.

٤- **إصدار البيانات:** في كل مناسبة لتذكير الناس بتلك الجريمة النكراء.

٥- **بعث الرسائل:** تخاطب المنظمات العالمية وقادة العالم الإسلامي للتدخل في القضية.

٦- **إرسال البرقيات:** إلى العلماء والشخصيات الإسلامية والعالمية والسفارات الدولية لإعلان الاستنكار والمطالبة بإعادة بناء ما طالته يد التخريب الوهابية.

٧- **تنظيم المسيرات:** للاستنكار في الذكرى السنوية لتلك الجريمة.

٨- **نشر الصور:** للأضرحة قبل الهدم وللواقع الراهن المزري بعد الهدم.

٩- **تأسيس الجمعيات:** للعمل لإعادة البناء، وإحياء ذكريات مباركات لتلك البقعة الطاهرة من أرض الحجاز الغالية[١].

---

(١) البقيع المنور: ص٢٨ وما بعدها.

وجاء فيه كذلك: فقد دمرت مراقد هؤلاء السادة والقادة، فتبكي الأحجار الموضوعة على مكانها كما تجري الدموع من العيون الناظرة إليها[1].

فماذا يقول العالم وأنت أيها الأخ المنصف عن هذه الجريمة النكراء التي ارتكبها أتباع محمد بن عبد الوهاب بحق ذرية رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ.

(١) المصدر السابق.: ص١٤.

أرقام وتواريخ لهدم البقيع

نعم.. لقد احتل الوهابية المدينة المنورة عام ١٢٢١هجرية ومكة المكرمة عام ١٢٢٠هجرية وكانت لهم محاولات قبل ذلك حتى نجحوا أخيراً بالاحتلال العسكري.

ولذا في عام ١٢٢٠هجرية منعوا الحجاج العراقيين والإيرانيين.

في عام ١٢٢١هجرية منعوا الحجاج الشاميين.

في عام ١٢٢٢هجرية منعوا الحجاج المصريين من الحج.

لماذا كان المنع؟!

السبب في ذلك يعود إلى سعود الكبير الذي أراد أن يجبر الحجاج على اعتناق مذهبه والالتزام بدعوته الوهابية، ولما رفضوا منعهم من الحج واعتبرهم هراطقة كفرة![1]

وفي الثامن من شوال عام ١٣٤٤هجرية الموافق

(١) البقيع المنور: ص٢٢.

٢١/ ٤/ ١٩٢٥ ميلادية هدم الوهابيون الأضرحة والقبور المبنية في البقيع الشريف.

في ذلك اليوم المشؤوم انهالت معاول الجهل والعصبية على العتبات والمراقد المقدسة في المدينة المنورة، والتي كان يؤمّها المسلمون، ليروا من خلالها معالم تاريخهم وآثار سلفهم الصالح.. وليؤدّوا أمامها مراسيم التحيّة والإجلال لرسول الإسلام العظيم النبي محمد ولآل بيته الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) وخيرة صحابته المجاهدين.

وبمبرّرات واهية ودعاوى زائفة، قام الجهلة المتعصبون بهدم الأضرحة المباركة والبيوت المشرّفة، التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ضمن مقبرة البقيع وسائر أنحاء المدينة والحجاز بشكل عام.

ولقد فوجئ المسلمون في العالم بذلك الاعتداء الأثيم، الذي استهدف تاريخهم ومقدساتهم وتراثهم من قبل فئة محدودة، لا يصح لها أبداً مهما كانت مبرراتها أن تفرض رأيها في قضية وموضوع يرتبط بكل المسلمين.

ولكن أولئك القائمين بجريمة هدم المقدسات استبدّوا برأيهم، وخالفوا إجماع الأمة، وجرحوا مشاعرها، ورفضوا أي دعوة للحوار والنقاش حول الموضوع، كما لم يبالوا بصرخات

الاعتراض والغضب التي عمّت أجواء المسلمين[١].

والإمام الشيرازي المجدد الثاني (أعلى الله درجاته) يتنبأ بإعادة إعمار البقيع بعد زوال من هدمه، وذلك في كتاب له عن (البقيع الغرقد) يقول فيه: الذين هدموا البقيع وسائر البقاع المباركة لم يفعلوها إلا بالسيف من دون أي منطق عقلائي، وهذا خلاف سيرة جميع الأنبياء والمرسلين والأئمة الصالحين (صلوات الله عليهم أجمعين).

إن المنطق هو الذي يصلح للبقاء، وإلاّ فصاحب السيف يسقط حين يسقط سيفه، والسيف مؤقت جداً. وبقاء القبور المباركة مهدومة دليل على أنه لا زال السيف بيد الهادمين إلى الآن، ولكن عندما يسقط السيف من أيديهم ستجد المسلمين جميعاً في نفس اليوم آخذين في البناء[٢].

إن أدلّة العقل والمنطق في الأزمان باقية وخالدة يذهب السيف والطغيان..

(١) يوم البقيع: ص٦.

(٢) البقيع الغرقد: ص٣١.

حتى المساجد هدّموها

والأعظم والأدهى من ذلك أن أولئك لم يهدموا ويخربوا المراقد والمشاهد فقط بل هدّموا الكثير من المساجد، لا لشيء إلا لطمس آثار النبي ﷺ والعترة الطاهرة عليهم السلام والأصحاب الكرام.

وهناك أكثر من (٤٤) مسجداً هدّمه الوهابيون في بلاد الحجاز، وفيما يلي قائمة بعدد المساجد والمراقد التي تعرضت للهدم:

١- مسجد المنارتين.

٢- مسجد بني عمرو بن مبذول، من بني النجار.

٣- مسجد بني عبيد.

٤- مسجد بني سلمة.

٥- مسجد بني أسلم.

٦- مسجد بني حرام الصغير.

٧- مسجد واقم.

٨- مسجد بني مازن.

٩- صدقة الزبير.

١٠- بني الحبلى.

١١- مسجد بني أمية بن زيد الأوسي أو مسجد بني أمية الأوسي.

١٢- مسجد بني الواقف.

١٣- مسجد النور.

١٤- مسجد الميثب أو صدقة النبي ﷺ.

١٥- مسجد بين الجثجاثة وبئر شداد -بطرف وادي العقيق-.

١٦- مسجد بني غفار.

١٧- مسجد بني راتج.

١٨- مسجد بني جهينة.

١٩- مسجد بني خداره.

٢٠- مسجد البياضة.

٢١- مسجد بني دينار.

٢٢- مسجد بقيع الزبير.

٢٣- مسجد بني وائل الأوسي.

٢٤- مسجد التوبة.

٢٥- مسجد عتبان بن مالك.

٢٦- مسجد القرصة.

٢٧- مسجد بني خطمة أو مسجد العجوز.

٢٨- مسجد بني أنيف.

٢٩- مسجد بلال بن رباح (وهو غير المسجد الموجود في المدينة حالياً، على مقربة من الحرم النبوي الشريف).

٣٠- مسجد عثمان بن عفان.

٣١- مسجد ثنية الوداع.

٣٢- مسجد السيدة فاطمة الصغرى.

٣٣- مسجد القشلة.

٣٤- مسجد فيفاء الخبار.

٣٥- مسجد بني زريق، من الخزرج.

٣٦- مسجد بني ساعدة.

٣٧- مسجد أبي بن كعب (مسجد البقيع).

٣٨- مسجد المصرع (مسجد الوادي).

٣٩- مسجد حمزة بن عبد المطلب (سيد الشهداء).

٤٠- مسجد العمرة (مسجد عرفة).

٤١- مسجد دار سعد بن خيثمة.

٤٢- مسجد بن عدي (دار النابغة).

٤٣- مسجد بني ظفر (مسجد البغلة).

٤٤- مسجد الشمس أو مسجد ردّ الشمس - مسجد الفضيخ-[1].

---

(١) البقيع المنور: ص٣٣، المنظمة العالمية للدفاع عن الأماكن المقدسة - لندن.

بالإضافة إلى:

١- قبر السيدة آمنة بنت وهب (بالأبواء) والدة الرسول الأعظم ﷺ.

٢- قبر السيد عبد الله بن عبد المطلب (بالمدينة) والد الرسول ﷺ، لأنهما مشركان كما يعتقد القوم - والعياذ بالله-.

٣- البيت الذي ولد فيه الرسول ﷺ في مكة المكرمة، الذي حوّلوه إلى مكتبة (مكة المكرمة).

٤- البيت الذي عاش فيه الرسول ﷺ في المدينة المنورة.

فلماذا كل هذا الحقد على الإسلام وآثاره، وعلى الرسول وذريته وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)؟!!

وأخيراً:

ومما يبعث على الألم والأسى أن تتعرض هذه الديار المقدسة في هذا العصر لمؤامرةٍ خطيرة، تستهدف تاريخ الإسلام وآثار ومعالم الرسالة الإلهية، حيث تسلَّط على الجزيرة العربية أناس يحملون مخططاً رهيباً يهدف إلى إزالة آثار الإسلام، ومعالم تاريخه الأول، وذلك بناءً على الأفكار التي بشَّر بها محمد بن عبد الوهاب وخلفاؤه واتباعه لهدم جميع البيوت والمشاهد والقباب والمساجد التي شيّدت لحفظ آثار الرسالة وتعظيم مضاجع الأئمة

والشهداء والصحابة.

وقد هدّموا قبّة زمزم والقباب التي حول الكعبة، وتتبّعوا جميع المواضع التي تضم آثار الصالحين فهدّموها، وكانوا عند الهدم يرتجزون ويضربون الطبل (فرحاً) ويغنون ويبالغون في شتم القبور ويقولون: إن هي إلاّ أسماء سميتموها[1]!!

فلما استولى الوهابيون على المدينة المنورة هدّموا القباب التي فيها وفي ينبع، ومنها قبة أئمة البقيع بالمدينة، ولكنهم لم يهدموا قبة النبي ﷺ، وحملوا الناس على ما حملوهم عليه بمكة وأخذوا جميع ذخائر الحجرة النبوية وجواهرها، حتى أنهم ملؤوا أربع سحاحير من الجواهر المحلاّة بالماس والياقوت العظيمة القدر[2]!!

نعم... إنهم لم يدمروا قبّة الرسول الأعظم ﷺ إلاّ أنهم يطمعون بذلك أخزاهم الله على الدوام، وشاع أنهم ضربوا بالرصاص على قبّة النبي ﷺ[3].. وما زالوا يسمونه بالصنم -والعياذ بالله-!!

وأرادوا هدم قبر رسول الله ﷺ إلا أنهم خافوا على ملكهم

---

(١) راجع: كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب: ص٢٢.

(٢) يوم البقيع: ص٢٥ عن (تاريخ الجبرتي).

(٣) انظر: كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب ص٦٠.

من انفجار الأوضاع عليهم من العالم الإسلامي كله. ولكن النوايا السيئة ما زالت عندهم يبيتونها وينتظرون الفرصة المواتية للانقضاض على رسول الله ﷺ، كما فعل أصحاب العقبة تماماً إلاّ أن الله لهم بالمرصاد.

فهنا أحد دعاتهم يدعو- وكثيرة صارت مثل هذه الدعوات- إلى هدم القبر الشريف والقبة المنيفة، لأنهم يعتبرون بقاءه أمراً منكراً وانحرافاً، وإن إدخال قبره في المسجد أشدّ إثماً وأعظم مخالفة، وسكوت المسلمين على بقاء الأبنية لا يصيرها أمراً مشروعاً[١]!!

هل تعلم أن هذا الشيخ يعترف أن هذه السنّة تملأ العالم الإسلامي في كل أقطاره، ولا أحد استنكر ذلك حتى سيّده ونبيّه محمد بن عبد الوهاب، وقال برأيه فيها؟! وهو يقول: إن هذا أمر عمَّ البلاد، وطبق الأرض شرقاً وغرباً بحيث لا ترى بلدة من بلاد الإسلام إلا وفيها قبور ومشاهد بل مساجد المسلمين غالبها لا تخلوا من قبر أو مشهد[٢].

وهل الأمر يحتاج إلى كثير من الشرح والتوضيح أم أنه من أوضح الواضحات عندك؟

(١) يوم البقيع: ص٢٦ عن كتاب تبديد الظلام لإبراهيم الجبهان: ص٣٨٩.
(٢) المصدر السابق: ص٢٧.

أرجو الله أن يقي المسلمين من هذه الفتنة في هذه الأيام العصيبة، وأن تبصر الأمة أصول تلك الدعوات ومنابت هذه الاعتقادات، البعيدة كل البعد عن الإسلام وعقائده المباركة المتمثّلة بالقرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة والعترة الطاهرة.

موقف الدكتور البوطي من هدم آثار النبوّة

في مقدمة كتاب (نصيحة لإخواننا علماء نجد) يتحدث الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي - وهو من كبار علماء سوريا - عن أفكار هذه الجماعة التي تطلق على نفسها تارة الوهابية وتارة أخرى السلفية، وعن عقائدهم التي منها تكفير كافة المسلمين واتهامهم بأنهم أهل البدع والضلالة وما أشبه ذلك..

وإليك بعض ما جاء في هذه المقدمة:

وما أعلم أن العالم الإسلامي أجمع في استيائه من أمر من الأمور في عصر من العصور كاستيائه من هذا الذي يقدم عليه الإخوة مسؤولوا المملكة وعلماؤها اليوم، من إخلاء مكة والمدينة وما حولها من سائر الآثار المتصلة بحياة رسول الله ﷺ الشخصية والنبوية، وما يتبع ذلك من الإقدام على أمور تناقض الشرع وتناقض المنهج الذي كان عليه السلف الصالح، كمنع

المسلمين من زيارة البقيع ومنع الدفن فيه، وتكفير سواد هذه الأمة بحجة كونهم أشاعرة أو ماتريديين!! وهل كان الإمام الأشعري إلا نصير السلف الصالح بإجماع الأمة؟!

والذي زاد من هذا الاستياء الذي بلغ اليوم ذروته، أن هؤلاء الإخوة الذين يقدمون على هذه الفظائع المنكرة، ماضون ومستمرون في ذلك في صمت وقدر كبير من اللامبالاة! وقد كان أدنى ما يقتضيه الالتزام بأوليات الدين الإسلامي والبديهيات المتفق عليها من أحكامه، أن يبدأ هؤلاء الإخوة فينشرون بياناً يأتون به على سمع العالم الإسلامي وبصره، يوضحون فيه الدليل على ما قد تحقق لديهم من وجوب هدم آثار النبوة والقضاء عليها، وملاحقتها بالمحو أياً كانت وأينما وجدت، ومن ثم يعلنون عن عزمهم - بناء على ذلك - على تنفيذ ما يقتضيه الحكم الشرعي المقرون بدليله.

ولقد كنت ولا أزال واحداً من ملايين المسلمين الذين تأخذهم الدهشة لهذا الذي يجري في مكة والمدينة، تحت أبصار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، مع الاستخفاف بمشاعرهم وعلومهم ومعتقداتهم، ودون تقديم أي معذرة بين يدي مغامراتهم العجيبة هذه، من حجة علمية يتمسكون بها، أو اجتهاد ديني حق لهم أن يجنحوا إليه!.

بل لقد آثرت، تحت تأثير هذه الدهشة، أن أبدأ فأتهم نفسي بالجهل، وأن أفترض في معلوماتي الشرعية خطأ توهمته صواباً، أو حكماً غاب عني علمه، وذلك ابتغاء المحافظة على ما هو واجب من حسن الظن بالإخوة المسلمين، لا سيما العلماء منهم، ما اتسع السبيل إلى ذلك.. فرحت أنبش سيرة السلف الصالح وموقفهم، بدءاً من عصر الصحابة فما بعد، وأستجلي - من جديد- موقفهم من آثار النبوة، سواء منها العائدة إلى شخص رسول الله ﷺ أو ذات الدلالة على رسالته ونبوته، فلم أجد إلاّ الإجماع بدءاً من عصر الرسول ﷺ، على مشروعية التبرك بآثاره، بل رأيت الصحابة كلهم يسعون ويتنافسون على ذلك.. ولا ريب أن مشايخ نجد يعلمون ما نعلمه جميعاً من ورود الأحاديث الصحيحة الثابتة في الصحيحين وغيرهما، المتضمنة تبرك الصحابة بِعرَق رسول الله ﷺ وشعره ووضوئه وبصاقه والقدح الذي كان يشرب فيه، والأماكن التي صلى فيها، وجلس أو قال فيها.

ولا نشك في أنهم يعلمون كما نعلم أن عصور السلف الثلاثة مرت شاهدةً بإجماع على تبرك أولئك السلف بالبقايا التي تذكرهم برسول الله ﷺ من دار ولادته، وبيت خديجة رضي الله عنها، ودار أبي أيوب الأنصاري التي استقبلته فنزل فيها في أيامه الأولى من هجرته إلى المدينة المنورة، وغيرها من الآثار كبئر أريس وبئر ذي طوى ودار الأرقم... ثم إن الأجيال التي جاءت فمرت على

أعقاب ذلك كانت خير حارس لها وشاهد أمين على ذلك الإجماع.

ثم إن العالم الإسلامي كله يفاجأ اليوم بهذه البدعة التي يمزق بها إخوتنا مشايخ نجد إجماع سلف المسلمين وخلفهم إلى يومنا هذا، فدار ولادة رسول الله تُهدّم وتُحول إلى سوق للبهائم، ودار ضيافة رسول الله ﷺ في المدينة تحول إلى مراحيض! وتمرّ أيدي المحو والتدمير على كل الآثار التي تناوبت أجيال المسلمين كلهم شرف رعايتها والمحافظة عليها.

والأعجب من هذا كله أن مشايخ نجد يرون مدى استنكار العالم الإسلامي وغليانه الوجداني، لهذه البدعة التي تزدري إجماع المسلمين من قبل وتستخف بمشاعرهم الإيمانية، دون أن يتوجهوا إليهم بكلمة يبرّرون فيها عملهم ويشرحون فيها وجهة نظرهم. إذ المفروض - إذا كانوا هم المصيبون في عملهم هذا وعلماء العالم الإسلامي قاطبة جاهلون ومخطئون - أن يتوجهوا إليهم ببيان هذا الذي يعرفونه، حتى يتنبهوا إلى خطئهم ويتحولوا إلى الصواب الذي امتازوا وانفردوا عن العالم كله بمعرفته، وبذلك يكسبون أجر هدايتهم وإرشادهم إلى الحق الذي تاه عنه المسلمون خلال أجيالهم المتصرمة كلها..

وجاء في مكان آخر من حديثه عن أفكار هذه الجماعة:

فهلاّ تلمستم - يا علماء نجد - مكان محبة الله ورسوله من أفئدتكم، وهلاّ استنبتّم هذه المحبة إن رأيتموها ضامرة بمزيد من ذكر الله عزّ وجل، إذن لدفعكم هذا الحب - والله - إلى حراسة آثار النبوة وصاحبها بدلاً من محوها والقضاء عليها، ولسلكتم في ذلك مسلك السلف الصالح رضوان الله عليهم، وإذن لأقلعتم عن ترديد تلك الكلمة التي تظنونها نصيحة وهي باطل من القول، وتحسبونها أمراً هيّناً، وهي عند الله عظيم، ألا وهي قولكم للحجيج في كثير من المناسبات: إياكم والغلو في محبة رسول الله!

ولو قلتم، كما قال رسول الله ﷺ: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، لكان كلاماً مقبولاً، ولكان ذلك نصيحة غالية. أما الحب الذي هو تعلّق القلب بالمحبوب على وجه الاستئناس بقربه والاستيحاش من بعده، فلا يكون الغلوّ فيه - عندما يكون المحبوب رسول الله ﷺ - إلاّ عنواناً على مزيد قرب من الله، وقد علمنا أن الحب في الله من مستلزمات توحيد الله تعالى. ومهما غلا محبّ رسول الله ﷺ في حبه له أو بالغ، فلن يصل إلى أبعد من القدر الذي أمر به رسول الله ﷺ إذ قال فيما اتفق عليه الشيخان: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ماله وولده والناس أجمعين، وفي رواية للبخاري: ومن نفسه.

وإذا ازدهرت قلوبكم بهذه المحبة، فلسوف تعلمون أنها مهما تلظت بهذه المحبة، فلسوف تظل متقاصرة عن الحد الذي يستحقه رسول الله ﷺ، ولسوف تنتعش نفوسكم لمرأى آثار النبوّة - إن كان قد بقي منها بقية لديكم اليوم - بدلاً من أن تكرهوها وتسعوا سعيكم الحثيث للتخلص منها وللقضاء عليها![1].

(١) انظر كتاب: نصيحة لإخواننا علماء نجد.

نصيحة السيد هاشم الرفاعي

صاحب هذا الكتاب هو (يوسف بن السيد هاشم الرفاعي) وهو من علماء الكويت، يبيّن في كتابه معاناته وآراءه تجاه هذه الجماعة.

أخي القارئ: تأمّل في هذه الكلمات أو سمّيها النصائح، ترى كيف هذه الجماعة تكفّر كافة المسلمين من كافة المذاهب الإسلامية، فتعالوا معنا يا كرام لكي نقف ببصيرة مع بعض هذه الكلمات التي اقتطفناها من هذا الكتاب التي سمّاها المؤلف (نصيحة).

١- تردّدون جملة الحديث الشريف: «**كل بدعة ضلالة**»[1] بدون فهم، للإنكار على غيركم، بينما تقرّون بعض الأعمال المخالفة للسنّة النبويّة، ولا تنكرونها ولا تعدونها بدعة، سننكر بعضاً منها فيما يأتي.

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة: (٥٩٢/١) رقم (٨٦٧) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

٢- تمنعون دفن المسلم الذي يموت خارج المدينة المنورة ومكّة المكرّمة من الدفن فيهما وهما من البقاع الطيّبة المباركة التي يحبها الله ورسوله، فتحرمون المسلمين ثواب الدفن في تلك البقاع الشريفة المباركة، فعن عبد الله بن عدي الزهري عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ على راحلته واقفاً بالحزْورة يقول: «**والله إنَّك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخرجت منك ما خرجتُ**»[١].

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من استطاع أن يموت بالمدينة، فليمت بها، فإني أشفع لمن يموت بها**»[٢].

٣- تمنعون النساء من الوصول إلى المواجهة الشريفة أمام قبر النبي ﷺ والسلام عليه أسوة بالرجال، ولو استطعتم لمنعتم

---

(١) رواه أحمد في مسنده: (٣٠٥/٤)، والترمذي في سننه: (٧٢٢/٥) في المناقب، باب فضل مكة رقم (٣٩٢٥) وقال: حديث حسن غريب صحيح. ورواه النسائي في سننه الكبرى: (٤٧٩/٢)، وابن ماجه في سننه: (١٠٣٧/٢) في المناسك، باب فضل مكة رقم (٣١٠٨)، وابن حبان في صحيحه: (الإحسان ٢٢/٩) رقم (٣٧٠٨)، والحاكم في المستدرك: (٧/٣). والحزورة: التل أو الربوة الصغيرة.

(٢) رواه أحمد في مسنده: (٧٤/٢)، والترمذي في سننه: (٧١٩/٥) في المناقب، باب فضل المدينة رقم (٣٩١٧). ورواه النسائي في الكبرى: (٤٨٨/٢)، وابن ماجه في سننه: (١٠٣٩/٢)، في المناسك، باب فضل المدينة رقم (٣١١٢)، وابن حبان في صحيحه: (الإحسان ٥٧/٩) رقم (٣٧٤١).

النساء من الطواف مع محارمهن بالبيت الحرام، خلافاً لما كان عليه السلف الصالح والمسلمون، وتحقِّرون النساء المؤمنات المحصنات القانتات، تنهرونهن، وتحجبونهن عن رؤية المسجد والإمام بحواجز كثيفة، وتنظرون إليهن نظرة الشك والارتياب. وهذه بدعة شنيعة لأنه إحداث ما لم يحدث في زمنه عليه الصلاة والسلام والسلف الصالح، فقد كان يلي الإمام صفوف الرجال ثم الصبيان ثم النساء، يصلون جميعاً وبلا حواجز خلفه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

٤- أتيتم بالمرتزقة والجهّال من العابسين عند المواجهة الشريفة، يستدبرون المصطفى ﷺ بأقفيتهم وظهورهم ويستقبلون زواره المسلمين بوجوه عابسة مكفهرّة تنظر إليهم شزراً، متهمة إياهم بالشرك والابتداع يكادون أن يبطشوا بهم، يوبخون هذا وينتهرون ذاك ويضربون يد الثالث ويرفعون أصواتهم زاجرين متجاهلين وناسين قول الله تعالى: **﴿يَا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أنْ تَحْبَطَ أعْمَالُكُمْ وَأنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ * إنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأجْرٌ عَظِيمٌ * إنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾**[(١)].

---

(١) سورة الحجرات: الآيات ٢- ٤.

كل هذا مع الكبر والاستمرار في إهانة أحباب المصطفى وزوّاره المؤمنين في حضرته الشريفة، وقبالة مضجعه الشريف الذي اعتبره شيخ الحنابلة ابن عقيل أفضل بقعة على اليابسة كما نقل ذلك عنه الشيخ ابن القيم في كتابه (بدائع الفوائد)[1].

٥- تمنعون النساء من زيارة البقيع الشريف بلا دليل قطعي مجمع عليه من الشرع، وتضيّقون على المسلمين في الزيارة إلاّ في أوقات محدودة وقصيرة، حتى أن بعضهم ينتهز فرصة تشييع الجنائز ليزور البقيع الشريف.

وقد منعتم المزوِّرين في المدينة المنوّرة من مرافقة الزائرين وقطعتم أرزاقهم، وبدونهم صار الناس يتخبطون ولا يعرفون أماكن قبور آل البيت الكرام وأمهات المؤمنين والصحابة، وهذا ظلم وتعسّف وقهر وبطر لا يرضاه الله تعالى ورسوله الكريم، فانتهوا هداكم الله تعالى.

---

(١) انظر بدائع الفوائد لابن القيم: (٣/١٣٥-١٣٦) وفيه ما نصه: «قال ابن عقيل: سألني سائل أيهما أفضل حجرة النبي ﷺ أو الكعبة؟ فقلت: إن أردت مجرّد الحجرة فالكعبة أفضل، وإن أردتَ وهو فيها فلا والله ولا العرش وحملته ولا جنّة عدن ولا الأفلاك الدائرة لأن بالحُجرة جسداً لو وزن بالكونين لرجح» اهـ.

وقال الإمام مالك: «إن البقعة التي فيها جسد النبي ﷺ أفضل من كل شيء حتى الكرسي والعرش، ثم المسجد النبوي ثم المسجد الحرام، ثم مكة».

٦- هدمتم معالم قبور الصحابة وأمهات المؤمنين وآل البيت الكرام رضي الله عنهم، وتركتموها قاعاً صفصفاً وشواهدها حجارة مبعثرة، لا يُعلم ولا يُعرف قبر هذا من هذا، بل سُكب على بعضها[١] (البنزين) فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فهلاّ أبقيتم وسمحتم بالتحجير وهو مباح، وارتفاع القبر شبراً وهو مباح مع الشاهدين، فقد ثبت أن النبي ﷺ وضع حجراً على قبر عثمان بن مظعون رضي الله عنه ثم قال: **«أَعَلَّمُ بها قبر أخي وأدْفِنُ مَنْ ماتَ من أهلي»**[٢].

وقال خارجة بن زيد: **«رأيتني ونحن شبّان في زمن عثمان وأن أشدَّنا وثبةً الذي يثب قبر عثمان بن مظعون حتى يُجاوزه»**[٣].

---

(١) قبر السيدة آمنة بنت وهب أم الحبيب المصطفى نبي هذه الأمة ﷺ.

(٢) رواه أبو داود في سننه: (٣/٥٤٣) في الجنائز، باب في جمع الموتى في قبر، والقبر يعلم رقم (٣٢٠٦) قال الحافظ ابن حجر في (التلخيص الحبير): (٢/١٤١)، إسناده حسن.

(٣) رواه البخاري في صحيحه: (فتح الباري ٣/ ٢٦٤) في الجنائز، باب الجريدة على القبر تعليقاً، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣/٢٦٥): «خارجة بن زيد: أي ابن ثابت الأنصاري أحد ثقات التابعين، وهو أحد السبعة الفقهاء من أهل المدينة.. الخ، وصله المصنف - أي البخاري - في التاريخ الصغير من طريق ابن إسحاق: حدثني يحيى بن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري سمعت خارجة ابن زيد فذكره، وفيه جواز تعليقة القبر ورفعه عن وجه الأرض» اهـ.

٧- أنشأتم مكتب استجواب ومحاكمة وتحقيق في زاوية الحرم النبويّ (القديمة سابقاً)، وكذلك بجوار البقيع حالياً، وصرتم تحاكمون فيها من ترقبونه يتوسّل أو يكثر الزيارة أو يخشع أو يبكي أو يدعو الله تعالى أمام القبر الشريف متوسلاً به إلى الله تعالى، حيث توجهون لهم قائمة من الأسئلة - الجاهزة سلفاً - عن مشروعية الزيارة والتوسُّل والمولد الشريف، فمن وجدّتموه مخالفاً لذلك سجنتموه وألغيتم إقامته وأبعدتموه من البلاد، مع أن هذه أمور تدور بين الاستحباب والإباحة عند العلماء حتى عند الحنابلة، فلا يجوز تكفير المسلم بها ومعاقبته.

وقد حدّثني مَنْ أثق به من السجناء أنه كانت الأغلال في يديه طيلة فترة السجن الذي امتدّ شهراً، وكان يتوضأ ويصلي وهي في يده، كما كان ممنوعاً حتى من قراءة القرآن الكريم، فاتقوا الله تعالى فإنَّ الظلم ظلمات يوم القيامة.

ولا يجوز أن يكون فعل ذلك في مسجد النبي ﷺ المبعوث رحمة للعالمين الذي قال: «إنما أنا رحمةٌ مهداة»[1]. وبعثه الله

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان: (٢/ ١٦٤)، وفي دلائل النبوة: (١/ ١٥٧- ١٥٨)، والحاكم في المستدرك: (١/ ٣٥)، ووافقه الذهبي، ورواه القضاعي في مسنده (٢/ ١٨٩) مرفوعاً عن أبي هريرة، ورواه الدارمي في سننه (١/ ٢١) وغيره عن أبي صالح مرسلاً، رواه البزاز (كشف الأستار ٣/ ١١٤) بلفظ: «إنما بعثت رحمة مهداة» قال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٥٧): رواه البزاز والطبري في الصغير والأوسط، ورجال البزاز رجال الصحيح.

تعالى رحمةً للعالمين، فكيف بالمسلمين الذين تعاملونهم هذه المعاملة القاسية المنكرة بجواره الكريم وفي مسجده الشريف، وهو القائل عليه الصلاة والسلام: «**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلّون**»(١).

و«**إن الله عز وجل حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»(٢).

٨- سمحتم لأحد المحسنين من أهل المدينة بهدم وإعادة بناء مسجد أبي بكر في جبل الخندق على حسابه الخاص، وبعد الهدم أوقفتم رخصة البناء لأنكم تعتبرون زيارة المساجد السبعة في موقع معركة الخندق النازلة فيها سورة الأحزاب بدعة، بل وتتمنون هدمها(٣).

---

(١) رواه البيهقي في حياة الأنبياء: (ص١٥)، وأبو يعلى في مسنده: (١٤٦/٦) رقم (٣٤٢٥)، والبزاز في مسنده: (٢٥٦) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١١/٢): (رواه أبو يعلى والبزاز، ورجال أبي يعلى ثقات).

(٢) رواه أحمد في مسنده: (٨/٤)، وابن أبي شيبة: (٥١٦/٢)، وأبو داود في سننه: (١٠٤٧)، والنسائي: (٩١/٣-٩٢)، وابن ماجه: (١-١٠٨٥)، وابن حبان في صحيحه: (الإحسان ١٩٠/٣-١٩١)، وابن خزيمة في صحيحه: (١٧٣٣)، والحاكم في المستدرك: وصححه (٢٧٨/١) ووافقه الذهبي، وصححه النووي في الأذكار (انظر الفتوحات الربانية ٣٠٩/٣-٣١٢).

(٣) المؤلف: وفي آخر زيارتنا للمدينة المنورة وكان ذلك في عام ١٤٢٤هـ زرنا هذه المساجد، فقد شاهدنا أن مسجد السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام أغلق =

٩- تتجسّسون وتلاحقون وتستجوبون وتعاقبون من يقيم مجالس الاحتفال والاحتفاء بذكرى المولد النبوي الشريف التي تخلو من أي منكر في الشرع، في حين لا تعترضون على مجالس اللّهو والطرب والغناء ومظاهرها بشتى ألوانها وأنواعها، فهل يجوز الكيل بمكيالين؟ وهل تجوز إهانة المحب ومراضاة الفاسق المستهتر؟[1].

١٠- تمنعون الأئمة من (القنوت) في المساجد في صلاة الصبح وتعتبرونه بدعة، علماً بأنه ثابت شرعاً لدى إمامين من الأئمة الأربعة: هما الشافعي ومالك، فلماذا فرض الرأي الواحد، والتضييق على المسلمين؟! فاتقوا الله تعالى[2].

١١- لا تعهدون بالإمامة في الحرمين الشريفين إلاّ لأحدكم (من نجد)، وتحظرونها على من سواكم من علماء الحجاز

= منذ أربع سنوات ومسجد علي بن أبي طالب عليه السلام أغلق أيضاً منذ عامين، والمخطط هو هدم كل هذه المعالم التاريخية، وبناء مسجد كبير واحد فقط!! فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١) المؤلف: تأمل يا أخي القارئ؛ ماذا يصنع عشرات الآلاف من الأجانب غير المسلمين في المملكة من المنكرات والمحرّمات، أو حتى ترى في المطارات كيف يُهان الحاج والمعتمر ويقومون بتفتيشه والتدقيق في جوازه.. بينما غير المسلم يكرم ويحترم ويعامل معاملة حسنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

(٢) المؤلف: علماً أن المذهب الإمامي الاثني عشري أيضاً يعتبر (القنوت) في كافة الصلوات مستحباً.

والأحساء وغيرهم، فهل هذا من العدل أو من الدين بالضرورة؟! فاتقوا الله تعالى، وأقسطوا إنه تعالى يحب المقسطين.

١٢- أعملتم معولكم في هدم آثار النبي عليه الصلاة والسلام والصحابة الكرام في المدينة المنورة خاصة والحرمين الشريفين عامة، حتى كاد أن لا يبقى منها إلاّ المسجد النبوي الشريف وحده في حين أن الأمم تعتزّ وتحتفظ بآثارها، ذكرى وعبرة ودليلاً على ماضيها التليد، وترى أن كل أثر يقصد للإطلاع والزيارة شرك بالله تعالى... والله تعالى أمرنا بأن نسير في الأرض لننظر آثار المشركين فنعتبر بها، كعاد وثمود الموجودة في (ديار صالح - العلا قرب المدينة المنورة)، والتي لا تزال مزاراً للسائحين، حيث قال الله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ وَاقٍ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[2].

(١) سورة آل عمران: الآية ١٣٧.

(٢) سورة غافر: الآية ٢١-٢٢.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلاّ اللهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [1].

فلماذا تحرمون المسلمين من مشاهدة معالم وآثار معركة بدر وأحد والحديبية وحنين والأحزاب، وغيرها من (أيام الله) التي نصر بها رسوله وعباده الصالحين وهزم الشرك والمشركين؟ فاتقوا الله وكونوا من أولي الألباب لعلكم ترحمون.

١٣- سمحتم للمدعو مقبل بن هادي الوادعي المعروف بكثرة سبابه وطعنه على مخالفيه من العلماء والدعاة إلى الله وصلحاء هذه الأمة، كما تشهد بذلك كتبه وأشرطته، أن يتقدّم ببحث في نهاية دراسته الجامعية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بعنوان: (حول القبة المبنية على قبر الرسول ﷺ)، وإشراف الشيخ حماد الأنصاري، طالب فيها جهاراً نهاراً بإخراج القبر الشريف من المسجد النبويّ، واعتبر وجود القبر والقبة الشريفة بدعة كبيرة وطالب بإزالتها وهدمها! ومنحتموه على ذلك درجة الفوز والنجاح!

(١) سورة إبراهيم: الآية ٩.

فهل تكرّمون من يحاد رسول الإسلام، حبيب الله، رحمة للعالمين وخليله عليه الصلاة والسلام؟!

وقد وجّه هذا الرجل المئات من أتباعه ومقلديه ونحوهم ممن تأثر بمذهبكم، ووجّههم - وهم حاملوا السلاح - إلى هدم ونبش قبور المسلمين الصالحين في عدن باليمن منذ سنوات قليلة، فعاثوا في الأرض فساداً وخراباً، فنبشوا قبور الموتى بالمساحي ونحوها، حتى أخرجوا عظام بعض الموتى وانتهكوا حرماتهم، وأثاروا فتنة عمياء، وبلغنا أنهم استخدموا في ذلك المتفجرات (الديناميت) في بعض المواضع في اليمن (وهذا كلّه في صحيفة أعمالكم)!!

١٤- سعيتم لبدعة كبيرة لم تسبقوا إليها حتى من أسلافكم في العقيدة والمنهج، وهي أنكم سعيتم لغلق وقفل (البقيع الشريف) ومنع الدفن فيه ونقل دفن الأموات الجدد إلى موقع آخر بعيد عن موقع الشرك والبدع في رأيكم، ولمنع الناس من الدخول إلى البقيع وزيارة من فيه من الآل والصحابة والتابعين وبقية الصالحين، ولكن الله تعالى أحبط مسعاكم وهيّأ من قام بإبلاغ الملك فهد بذلك، فرفض ما نويتم وأمر بتوسعة البقيع الشريف حتى لا تكون الحجّة عندكم ضيقهُ عن استيعاب من يموت من المسلمين.

١٥- رضيتم ولم تعارضوا هدم بيت السيدة خديجة الكبرى أم المؤمنين والحبيبة الأولى لرسول ربّ العالمين ﷺ المكان الذي هو مهبط الوحي الأول عليه من ربّ العزّة والجلال، وسكتم على هذا الهدم راضين أن يكون المكان بعد هدمه دورات مياه وبيوت خلاء، وميضآت!!

فأين الخوف من الله تعالى؟ وأين الحياء من رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام؟!

١٦- حاولتم ولا زلتم تحاولون وجعلتم دأبكم هدم البقيّة الباقية من آثار رسول الله ﷺ ألا وهي (البقعة الشريفة التي ولد فيها) التي هُدّمت، ثم جعلت سوقاً للبهائم ثم حوّلها بالحيلة الصالحون إلى مكتبة هي: (مكتبة مكة المكرّمة)، فصرتم ترمون المكان بعيون الشر والتهديد والانتقام وتتربصون به الدوائر، وطالبتم صراحة بهدمه واستعديتم السلطة وحرضتموها على ذلك، بعد اتخاذ قرار بذلك من هيئة كبار علمائكم قبل سنوات قليلة (وعندي شريط صريح بذلك).. فيا سوء الأدب وقلّة الوفاء لهذا النبيّ الكريم الذي أخرجنا الله به وإياكم والأجداد من الظلمات إلى النور! ويا قلّة الحياء منه يوم الورود على حوضه الشريف! ويا بؤس وشقاء فرقة تكره نبيها سواء بالقول أو بالعمل، وتحقّره وتسعى لمحو آثاره! والله تعالى يقول لنا:

﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[1].

والله تعالى يقول ممتناً على بني إسرائيل بطالوت وموسى وهارون: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[2].

وقال المفسرون: إن البقية المذكورة هي عصا موسى ونعلاه و.. الخ.

واقرؤوا إن شئتم الأحاديث الصحيحة الواردة فيما يتعلق بآثار النبي ﷺ، واهتمام الصحابة بها المذكورة في ثنايا أبواب صحيح البخاري، ففيه الكفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وفيه الغنية لقوم يعقلون ويتدبرون.

١٧- إنّ ما يحصل من مذابح ومجازر ومآسٍ تشوّه سمعة الإسلام وتفتك بالمسلمين، خاصة كالتي في الجزائر ومصر، أو التي حدثت في الحرم المكي، ما هي إلاّ ثمرة خرّيجيكم وآرائكم، وقراءة كتبكم ومطبوعاتكم التي بُنيت على التكفير والتشريك والتبديع وسوء الظن بالمسلمين..

١٨- تعملون عمل الخوارج، فإذا جاءكم أحد من المسلمين

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٤٨.

- وخاصة طلبة العلم - تبدأون في عقيدته أصحيحة عندكم أم لا؟ ما تقول في كذا، وكذا.. وأين الله؟ و..؟

وهكذا كان يعمل الخوارج فيما سبق، فكانوا إذا جاءهم أو مرَّ بهم المسلم الموحّد امتحنوه، فإذا خالفهم قتلوه، أما المشرك أو الكافر فيتلطّفون به ويتلون الآية: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ**﴾[1]. ﴿**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾[2].

١٩- كان هناك أثر (مبرك للناقة) ناقة النبي ﷺ في مسجد (قباء) يوم قدومه مهاجراً إلى المدينة، في مكان نزل فيه قوله تعالى: ﴿**لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ**﴾[3]، فأزلتم هذا الأثر، وكنا نشاهده حتى وقت قريب.

٢٠- وكان في مسجد القبلتين علامة على القبلة القديمة إلى المسجد الأقصى المنسوخة، فأزلتموها باعتبارها بدعة.

٢١- وضعتم معاولكم في بيت الصحابي الجليل (أبي أيوب

---

(١) سورة التوبة: الآية ٦.

(٢) سورة القلم: الآيات ٣٥-٣٦.

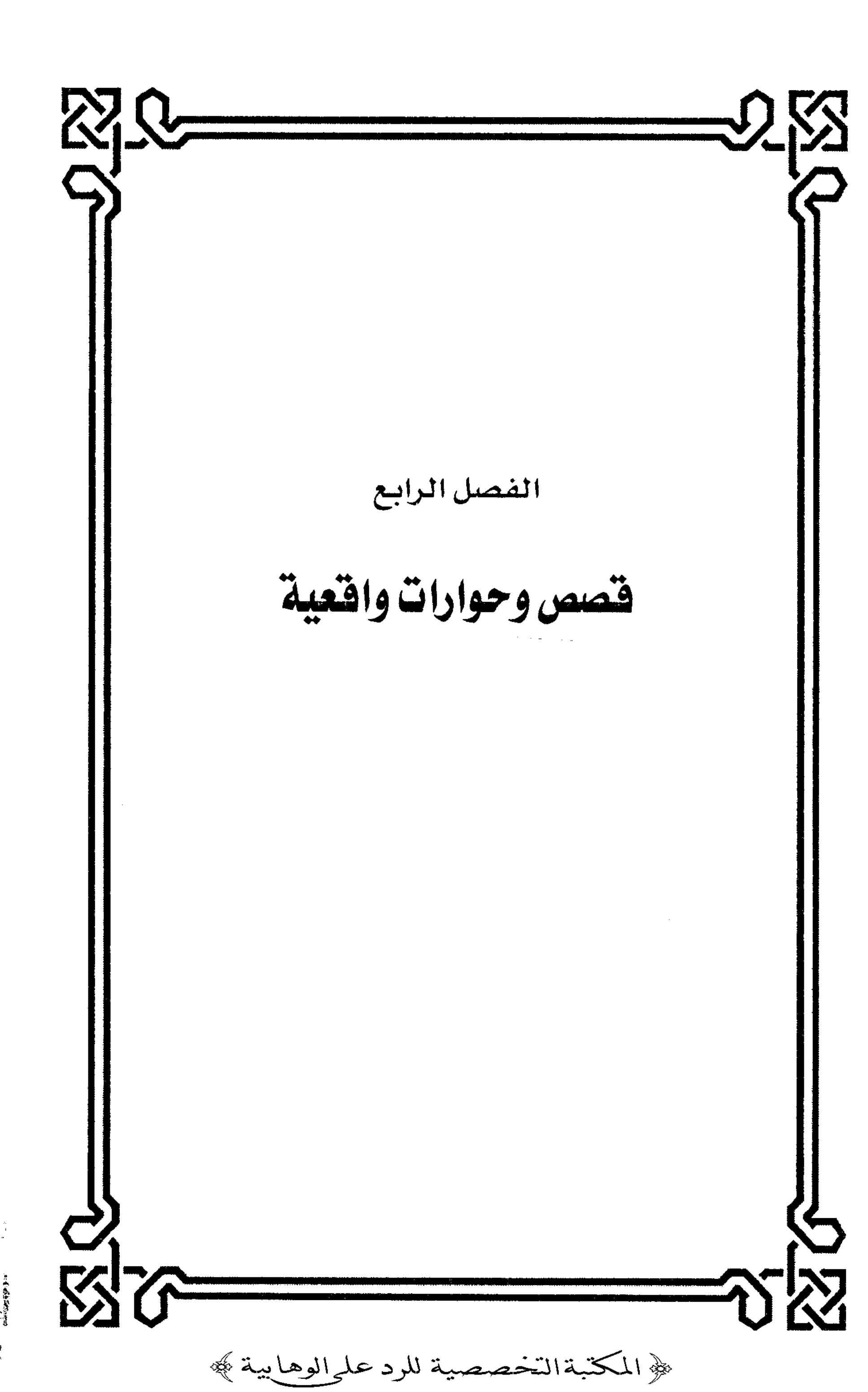
(٣) سورة التوبة: الآية ١٠٨.

الأنصاري) الذي استضاف فيه النبي ﷺ عند قدومه المدينة المنورة قبل بناء حجراته الشريفة، وقد حافظت عليه كل العهود السابقة بما فيها عهد أسلافكم فهدمتم هذا الأثر الشريف، الذي كان في قبلة محراب المسجد النبوي الشريف وذلك بزعم أن المسلمين (المشركين) يتبركون به!!

٢٢- كما ردمتم (بيرحاء) التي دخلت في التوسعة، ولم تتركوا عليها أثراً أو علامة كأثر دخله النبي ﷺ ورد ذكره في صحيح البخاري[1] وغيره. ولم تبقوا في المدينة المنورة من آثار المصطفى وأصحابه غير المسجد النبوي وحده، فهلاّ التفتم لخيبر وغيرها وهل يجوز أن نقلد اليهود في إزالتهم لكل أثر إسلامي في القدس الشريف فنزيل آثارنا في المدينة المنورة؟!

وماذا أبقيتم للأجيال القادمة، من تراثنا المجيد؟!

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب (١٢٦/٢)، وصحيح مسلم (٦٩٣/١) كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين رقم (٩٩٨).



الفصل الرابع

قصص وحوارات واقعية

١- موقف مع حجّاج بيت الله

أذكر أنني في عام ١٤٢٠ هجرية وفي أيام الحج حيث وفقني الله لذلك فله الحمد، وكنا نبدأ بزيارة الرسول الأعظمﷺ في المدينة المنورة، وأهل البيتعليهم السلام وكرام الصحابة في البقيع الشريف وبقية الشهداء هناك.

وذات يوم رأيت اجتماعاً كبيراً من الناس غير العرب يقفون مع أحد هذه العناصر ولا أحد منهم يفهم على الآخرين شيئاً، لأنهم كلٌّ يتحدّث بلغته ولهجته ولكنته.

ورأيته يتهجّم عليهم بصوت عالٍ، وسمعته يفسّق تارة، ويرمي بالكفر أو الشرك أخرى! وهذا من أبسط التهم لديه، ولذا قال: يا عبّاد الأصنام والقبور!

فاقتربت منه وقلت له: أخي العزيز هؤلاء حجّاج بيت الله الحرام، وجاءوا هنا لزيارة قبر رسول الله وأهل بيته الأطهار والصحابة الكرام.. ورسول اللهﷺ قد أوصى بهم، وأوصى

بزيارته هذه لأنه قال: «**من حجّ ولم يزرني فقد جفاني**»[1]، وهؤلاء الضيوف جاءوا لزيارته وتلبية ندائه، فلماذا هذا الجفاء والعنف معهم؟ فهذا لا يجوز، علماً أن الكثير منهم قطعوا آلاف الأميال ويأتون لأول مرة، وربما لا يرجعون ثانية.

فقال لي وعينه محمرَّة: قل ماذا تريد؟

قلت: عليك بالهدوء والاحترام لهؤلاء الضيوف إنهم ضيوف الرحمن والرسول الكريم ﷺ.

فقال: هؤلاء لا ينفع معهم الهدوء والرحمة.

قلت: أليس الله تعالى يقول في كتابه الكريم واصفاً ومخاطباً رسول الله ﷺ: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[2] ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[3] أين عطفك وحنانك ورحمتك وأخلاقك الإسلامية؟!

فبهت الرجل.. ثم سكت وأعرض عني وأدار لي ظهره!

بهذه الأخلاقيات يتعاملون مع المسلمين وضيوف الرحمن وزوّار وعشّاق رسول الله ﷺ في دار ضيافته الشريفة.. فيشوّهون صورة الإسلام بعيون أبنائه، ويكرّهونهم بأقدس

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١٠ ص١٨.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٣) سورة القلم: الآية ٤.

وأطهر الأماكن، ويبعّدونهم عن مقدساتهم وآثار الرسول والرسالة المقدّسة، وللأسف الشديد كل ذلك يقع تحت اسم الإسلام والتوحيد والجهاد.

٢- إهانة عند قبر النبي ﷺ

إن الحج الواجب مرة واحدة في الحياة، وقليل من يوفَّق للإعادة ثانية، والقليل جداً الذي يحج ثلاث مرات ويكتب أنه مدمن الحج، والنادر الذي يذهب أكثر من ذلك إذا كان مسكنه خارج منطقة الجزيرة العربية.

ولهذا نرى أن النسبة العظمى ربما أكثر من ٩٠٪ من الحجاج يأتون لأول مرة لأداء فريضة الحج ومندوب الزيارة.. فهي إذن رحلة العمر التي لن تتكرر بالنسبة لهم، فهم إذن غرباء والغريب جاهل بالأرض والسكان والعادات والتقاليد، فهذا ما يزيد من غربته، ولكن الواجب يهدم بعض تلك الوحشة، وهيبة المكان وروحانية الزمان تضيفان الكثير من مظاهر الودّ والألفة بين الإخوة الحجاج.

وهكذا فهم أول مرة يدخلون المدينة المنورة، ويرون الروضة المباركة والقبر الشريف والقبة المنيرة، فيرجعون إلى التاريخ ويتذكّرون ما تعلموه، وحفظوه عن ظهر قلب. بل ربما هو

محفور في حنايا القلب، لا سيما وصف رسول الله وأهل بيته (صلوات الله وسلامه عليهم)، فترى أعينهم تفيض من الدمع شوقاً إلى الحبيب المصطفى ﷺ.

وكذا الحال بالنسبة إلى مكة المكرمة حيث البيت العتيق ومسقط رأس الرسول الأكرم ﷺ، وآثار الرسالة والرسول تراها ماثلة للعيان- لا سيما التي لم تستطع يد الهدم الوهابية تخريبها- وتتذكر تلك العهود الغابرة، والأحداث الماضية وتسترجع في ذهنك حياة رسول الإسلام ﷺ والمسلمين الأوائل.

فكل خطوة وكل لمحة وكل شيء يذكرك بمقدساتك ودينك وقرآنك العظيم والحروب والغزوات، وتسأل نفسك كم لاقى وعانى رسول الله ﷺ لتبليغ الرسالة و إنقاذ البشر من الضلال وظلماته؟

ولذا ترى الحاج إذا ما وصل به المقام إلى أمام قبر النبي الأكرم ﷺ وربما قبل ذلك بكثير، فإنه يقف بخشوع ومهابة وكأنه في حضرته المباركة، وتجري الدموع على خديه باكياً منتحباً على رسول الله ﷺ، وهكذا عند قبور الأئمة الأطهار عليهم السلام والشهداء والصحابة الأجلاّء.

الشوق والحب يسوقان المسلمين إليك يا رسول الله ليس إلاّ، فهم لم يروك عياناً بل يطمعون برؤية محياك ولو بالمنام، إلاّ

أنهم قرؤوا وصفك، وسمعوا سيرتك العطرة واعتنقوا ديانتك الحنيفية، وها هم الآن يقفون أمام قبرك خاشعين وإلى الله داعين ضارعين، تكسوهم الهيبة ويجلّلهم الخشوع أمام عظمة أعظم مخلوق خُلق، وينتشي القلب بعد أن يشمّ العبير الطيّب الذي يفوح من ذاك القبر المقدّس الذي هو أطيب من المسك وغيره، ويسمو الفكر وترفرف الروح في فضاء من الروحانية والنورانية المقدّسة التي لا يمكن وصفها، لأنها من الشعور الذي لا يوصف أبداً، وإنما يُحسّ ويُعاش ممن هم من أهل الإيمان، ولذا وربما باللاشعور تهجم إلى القفص الحديدي أو إلى الشباك المطل على القبر أو الجدار أو أي شيء يمكن لك أن تلمسه، وكلما كان أقرب كان الأمر أطيب والمكان أهيب. وإذا لم تستطع شيئاً من ذلك فلاشك أنك ستشير إشارة بيدك من بعيد إلى ذلك المكان المقدّس الشريف.

وبينما أنت بكلّ هذه الروحانية التي لا تحب أن يقطعها عليك أحد، تُفاجأ بعناصر وأفراد الوهابية يصيحون ويصرخون دون خوف من الله ولا احترام لرسوله الكريم ﷺ، الذي أمرنا الله سبحانه باحترامه: ﴿**يَا أيُّها الذينَ آمَنوا لا تَرْفَعُوا أصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**﴾[1].

(١) سورة الحجرات: الآية ٢.

بل يهجمون عليك، وربما ضربوك إذا مددت يدك باتجاه الحبيب المصطفى ﷺ، ويقذفونك بالكفر والشرك.. قائلين: لا تَدْعُ.. لا تتوسل بالرسول.. لا تلمس القفص إنه حديد لا ينفع.. لا تقف هنا.. لا.. لا وألف لا..

فقلت لأحدهم مرّة: فلماذا جئنا إلى المدينة إذن، وتحملنا مشاقّ السفر لقطع آلاف الأميال؟ فلماذا نأتي وتأتي الملايين إلى المدينة أصلاً؟

فقال: للصلاة في المسجد النبوي.

قلت: وقبر النبيّ ﷺ وزيارته.

قال: محمد مات وانتهى أمره.

قلت: النبي ﷺ يوصينا بزيارة قبره الشريف بقوله: «**من حجّ ولم يزرني فقد جفاني**» وروايات كثيرة بهذا المعنى ملأت كتب المسلمين، وأنت تمنعنا من زيارته؟!

فقال: اذهب أنت رافضي.. رافضي لا ينفع معك الكلام.

قلت: لماذا تمنعنا من الوقوف والنظر إلى قبر حبيب الله، بينما أنت واقف وظهرك إلى قبر النبي ﷺ، وهذا إهانة لرسول الله ﷺ؟!

فتركني وذهب ولم يجبني..

إنه الجفاء والغلظة وضيق الصدر الذي تتصف به هذه الجماعة..

وكم أستحضر سيرة رسول الإنسانية وسيد الكائنات ﷺ فأقول في نفسي: الله أكبر ما أعظمك يا رسول الله ﷺ وما أعظم صبرك وأوسع صدرك الشريف. كم تحملت الأذى من مثل هؤلاء في حياتك، وأنت القائل: «**ما أوذي نبي مثل ما أوذيت**»[1]، فكنت تدعوهم إلى خير الدنيا والآخرة وهم يقذفونك بالسحر والجنون والكذب - والعياذ بالله- وأنت الصّادق الأمين، فساعد الله قلبك يا رسول الله ﷺ.

إنني كلما ذهبت إلى الحج ونظرت بأمّ عيني إلى هذه التصرفات اللاأخلاقية من هذه العناصر، أتذكر معاناة حبيب الله ﷺ في تبليغ الرسالة..أتذكر مظلومية أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة الرسول الأكرم ﷺ، وكذلك مظلومية سيّدة النساء فاطمة الزهراء، وبقية أئمة أهل البيت (عليهم صلوات الله وسلامه) ولكن لا أملك إلا أن أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١) كشف الغمة: ج٢ ص٥٣٧، المناقب: ج٣ ص٢٤٧.

٣- لا تسلم عليه إنه نجس

ما رأيك بهذا العنوان.. يستفزك أليس كذلك؟؟

أخلاق هذه الجماعات لا تستفز فقط بل كلها استفزاز أصلاً، فهذا شأنهم عند كل من سمع وقرأ عن سيرتهم ومنهجهم.

وعليه فإن رسول الله ﷺ يقول: «**من قال: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله ﷺ فهو مسلم له ما للمسلمين وعليه ما عليهم**».

فيعامل كإنسان مسلم وإن عُلِمَ منه النفاق يقيناً.. والإسلام أحد المطهّرات كما نعلم من خلال الفقه.. فالإنسان يطهر بمجرد دخوله الإسلام، ويحكم بطهارته وجميع شؤونه وما يحيط به من أدوات، هنا هو فقه وشريعة الإسلام؛ وأما فقه ابن تيمية وابن عبد الوهاب فشيء آخر.

ففي زيارتنا هذا العام ١٤٢٥ هجرية للمدينة المنورة وحيث كنا مجموعة من المشايخ والعلماء الكرام.. وإذا بصراخ وضجة

تعلو في جنبات البقيع الطاهر، فاستطلعنا الخبر وبحثنا عن الأمر وإذا بأحد الإخوة من أصدقائنا المشايخ في نزاع وجدال عقيم مع أحد هذه العناصر هناك.

فسألناه عن الخبر وماذا جرى؟

قال: سألني ذاك الشاب - وأشار إلى شاب يقف هناك- بعض الأسئلة الدينية، فرحت أجيبه بكل احترام وتقدير عن كل أسئلته، وإذا بهذا الذي يقف أمامكم يقول للشاب السائل: لماذا تتكلم معه؟ لماذا تتكلم مع هذا الرافضي الكافر النجس.. فاذهب وغسل يدك (طهّرها)، لأنه كافر نجس؟!

فعندما سمعتُ ذلك وقف شعر بدني كله، وأصابتني قشعريرة شديدة من هول ما أسمع من هذا الجاهل، ففقدت أعصابي وبدأت أصرخ:

أيها الناس.. يا عالم.. تعالوا وانظروا إلى هذا الذي يقول عني: كافر نجس.. فاجتمع الناس حولي، فهرب ذلك الرجل خوفاً من الناس، وبعد قليل جاء ومعه الشرطة، فأشار عليّ وذهب فأرادوا أن يعتقلوني، وانتهى الأمر وكأن شيئاً لم يكن.

والله عجيب من هؤلاء الناس، ماذا يحسبون أنفسهم؟ هكذا كنت أقول في نفسي، ولماذا كل هذا الهجوم؟! وبهذه الطريقة الجافة واللسان الفظ الغليظ والأخلاق السيئة؟! التي تذكرنا

بأبي جهل، وأبي لهب، وأبي سفيان وغيرهم من رؤوس قريش في الزمن الغابر.

٤- حوار آخر بجوار الكعبة

الحج واجب وفرض على كل من استطاع إليه سبيلاً، مرة واحدة في الحياة كلها، وأحد أركان الحج الأساسي الطواف بالبيت العتيق، ما أهيب ذاك المكان وما أعظم روحانيته ونورانيته إنه أشبه ما يكون بيوم الحشر والنشر حيث اجتماع الناس على صعيد واحد، في مكان واحد، ولباس واحد، وتلبية واحدة.. ولا فرق بين غني ولا فقير، ولا كبير ولا صغير، الكل سواسية.

فترى الحجاج يطوفون حول البيت العتيق يلبّون ويتضرّعون، ويضجّون ويعجّون إلى الله عزّ وجلّ، يهلّلون ويكبّرون ويتوسّلون إلى جناب قدسه، فمنهم من يطوف وآخر متعلق بالأستار، وأخر يلمس الجدران، ومنهم من يتبرّك بالأركان الأربعة: (ركن الحجر الأسود، والركن العراقي، والركن الشامي، والركن اليماني). وبعضهم في حِجر إسماعيل عليه السلام، ومنهم عند مقام إبراهيم الخليل عليه السلام يصلي كما أمر الله.. وترى أن الازدحام

كبير جداً في هذين المكانين: الحجر الأسود وحجر إسماعيل عليه السلام، وآخرون عند باب المستجار الذي دخلت منه فاطمة بنت أسد، عندما استجارت بالله فانشق الجدار ودخلت وعاد الجدار إلى وضعه، فولدت الإمام علياً عليه السلام في جوف الكعبة وحيث بقيت ثلاثة أيام.

والجميع متعلّق قلبه بالله، حباً وعشقاً وشوقاً وتطلّعاً إلى نفحاته الروحانية وأنواره القدسية، إنَّ هيبة المكان لا توصف أبداً.

وهنا.. وفي مثل هذا المكان ترى العجب العجاب، فالغضب مرتسم على وجوه أولئك القوم، مكشّرين كأنهم من زبانية جهنم يدفعون ويهينون ويكفّرون الحجاج على هواهم.

فهذا كافر، وذاك مشرك، والآخر عابد صنم، وهذه الكعبة أحجار لا تضر ولا تنفع، وهذا كذا وذاك كذا.. ويقسمون الناس ويعطوهم شهادة الموحّد، أو الكافر أو المشرك وغير ذلك..

وبينما كنتُ عند حِجر أبينا إسماعيل عليه السلام قلت لأحد الحجاج المتعصّبين المغررين: انظر هل هذا من الإسلام في شيء؟! هؤلاء حجاج قطعوا آلاف الأميال للحج، وتجشّموا العناء بالسفر والمشقة والتعب، وهم مسلمون موحّدون ويعتقدون بأصول الدين وفروعه.

قال: هذا حجر لا أكثر ولا أقل.

قلت: والحجر الأسود ماذا يكون؟ فسكت ولم يحر جواباً.

فقلت: وغلاف القرآن أليس من الجلد أو النايلون وجلود الحيوانات فلماذا تقبّله أنت؟

قال: نعم، وهل هذا حرام؟ قلت: لا أبداً.. ولكن لماذا تقبله؟

قال: لأنه يحتوي القرآن.

فقلت: ما الفرق بين هذا وذاك؟ نحن لا نريد الحجر بل نريد ما وراء الحجر يا أخي.

فسكت ولم ينبث ببنت شفة.

فاستطردتُ قائلاً: فلو سلّمنا جدلاً بما تقولون، فهذه عقائد الناس التي يؤمنون بها، كما لكم عقائدكم، فدعوا الناس وعقائدهم، واتركوهم يعبدون ربّهم كما يعتقدون ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾[1]، فكل شيء يمكن أن تجبرني عليه إلاّ مسألة العقيدة فهي معقودة في القلب، والقلب بيد الربّ وليس بأيدي البشر، إن الله سبحانه وتعالى خاطب رسوله ﷺ: ﴿**أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾[2].

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

(٢) سورة يونس: الآية ٩٩.

فما بالكم أنتم تريدون أن يعتنق الناس عقائدكم بالقوة والإكراه، ولماذا كل هذه القساوة والفظاظة؟!

أبهذا أمر الدين وسيد المرسلين ﷺ؟ أتريدون تبليغ الإسلام بهذه الطريقة المشينة؟! أؤكد لك - يا أخي- أنكم وبهذه الطريقة العنيفة تنفّرون الناس من الدين وتبعدوهم عن الإيمان!

فنحن في عصر الحضارة، والنور، والاتصالات، والفضائيات، والإنترنت، وثورة المعلومات.. وهذا عصر الحوار، والرأي والرأي الآخر، والحريات، والديموقراطيات فأين أنتم من كل ذلك؟!

فسكت قليلاً، ثم قال - بعد أن ظهر عليه التأثر بكلامي-: لا أدري ليس عندي جواب لك، وراح يردد: الله يهدينا.. الله يهدينا.

٥- لحيتك ليست طويلة وثوبك ليس بقصير!

إن من أكبر نعم المولى علينا هي نعمة الإسلام الكامل بالولاية العظمى، وعصرنا هذا عصر العلم والتكنولوجيا والطباعة والنشر، فالحقائق تظهر على الملأ، وكتب الحق تطبع وتنشر في كل زمان ومكان، إما بالورق أو على الإنترنت أو البريد الإلكتروني وغير ذلك، وهذه نعمة كذلك.

ولذا راح العديد من الناس لا سيما العلماء وأساتذة الجامعات والمتنورون يقرؤون عن أهل البيت عليهم السلام، فيرون أن الحق معهم ومنهم وإليهم، فيعلنون انضمامهم إلى الركب المبارك ويركبون سفينة النجاة.

فالحقّ أبلج، والحق أحقّ أن يتبع، ولكن مَن يتمسك بالحق فذاك هو السعيد حقاً. وفي هذا العقد الأخير (١٤١٥ - ١٤٢٥هجرية) ازداد الدخول في مذهب أهل البيت عليهم السلام زيادة ملحوظة حيث دخل النور إلى قلوبهم فاستضاؤوا بنور العترة الطاهرة، وهذا كله كان إما ببركة أمير المؤمنين عليه السلام

ونهجه، أو الزهراء ومظلوميتها، أو الإمام الحسين وشهادته المفجعة (صلوات الله عليهم)، فأهل التهريج والكذب والافتراء كانوا يصفون أتباع أهل البيت عليهم السلام أوصافاً هي أشبه بوصف اليهود أو المجوس أو أبشع من ذلك، وقد مرت عليك بعض الفتاوى الظالمة لهم!!

فمحمد بن عبد الوهاب يقول: إنهم إذا ماتوا يمسخون قردة وخنازير..

وآخر مثله يقول: يدفع بالخشبة من بعيد إلى قبره إذا مات الشيعي..

وثالث القوم يقول: إن لهم أذناباً كأذناب الحيوانات، تظهر بالليل وتختفي بالنهار كأنتيل الراديو في السيارة..

ورابع وخامس.. والناس البسطاء المساكين يصدّقون هذه التخاريف، ويعتقدونها ويأخذونها كمسلّمات وبديهيّات، لأن الشيخ يتكلم بها ويتشدق ويتمنطق، ولا يدرون أنه يقول غلطاً ويفعل شططاً.

والخوف دفع الشيعة إلى أقطار الأرض فتفرّقوا تحت كل حجر ومدر، فسكنوا قُلل الجبال وكهوفها في البلدان، منقطعين إلى الله في عباداتهم، لأنهم محاربون بلا ذنب، ويعتدى عليهم بلا رحمة، كما حصل في مصر وصلاح الدين الأيوبي، وسورية في

مرج دابق بحلب الشهباء، وأفغانستان وباكستان والعراق في هذه الأعوام المتأخرة.. لا لذنبٍ اقترفوه إلاّ حبهم وولاؤهم لآل البيت الأطهار عليهم السلام، فالشيعي مهدور الدم، والمال، والعرض، ولذا راح يخفي عقيدته وربما اسمه، وكثير منهم غيروا دينهم لشدّة الظلم الذي وقع عليهم.

ولكن عصرنا الحاضر.. هو عصر كشف الحقائق.. ورفع الستور عن المحظور.

ومنذ فترة كنت أستمع لمحاضرة يلقيها سماحة الشيخ أحمد بدر حسون مفتي حلب، وهو من العلماء الأعلام في سورية، وله مكانته وحضوره في الساحة الثقافية والاجتماعية لا سيما في مدينة حلب، وخلال المحاضرة روى هذه القصة التي حدثت معه، قال: كنت ذاهباً إلى المدينة المنورة للزيارة المباركة لرسول الله صلى الله عليه وآله، فرأيت شاباً فسلّمت عليه؟ فلم يرد السلام.

فقلت: أخي أسلّم عليك ولا ترد السلام.. والسلام مستحب ورده فرض واجب؟ لماذا لا ترد السلام يا أخي؟!

فقال: لأن لحيتك ليست بطويلة، وثوبك ليس بقصير، (علماً أنه كان يرتدي اللباس العلمائي وزيّ رجال الدين).

فيعقب الشيخ: فبتُّ حائراً من هذا الجواب الغريب الذي لم يأت به أحد وما أنزل الله به من سلطان!

الخاتمة

وختاماً نقول ومن الله العون:

إن هذا الكتاب بما حواه من مواد علميّة، ما هو إلاّ نذر يسير وقصة قصيرة وصورة مصغّرة جداً لما يجري كل يوم، بل كل دقيقة على أرض الواقع المحزنة..

وقلنا إنها مأساة، وفجيعة محزنة لقلوب المسلمين عامة، بأن يروا تهديم وتدمير آثار الرسول الأعظم محمد ﷺ، وطمس أثر النبوّة والسلف الصالح من المجاهدين والشهداء، والصحابة الأوفياء، وأمهات المؤمنين وخيرة المسلمين، تمحى كل تلك الآثار النورانية المقدسة.

ونسأل - ويحق لنا ذلك - ما الذي يبقونه للأجيال القادمة؟!

فالعالم المتحضّر اليوم يبحث عن نتف وآثار بسيطة جداً، لدراسة التاريخ الماضي والأمم السالفة، وآثارنا كانت وما زالت أمامنا شاهدة على عظمة رسولنا ورسالته وديننا الإسلامي وحضارته الرائدة..

وبعد ثلاثة عشر قرناً من الزمن جاء هؤلاء الخوارج الجدد والمتبلدون يبحثون عن كل ما يذكرنا برسولنا وآله وأصحابه، ليدمّروه ويمحوه من الوجود، هذا ما لا يعقله عاقل على وجه الأرض، ولا يرضى به إلاّ اليهود فقط..

أما آن لهذه المأساة أن تتوقف؟!

أما آن لهذه المحنة أن تنتهي؟! والأمة أن تستيقظ من غفوتها وتنهض لبناء مجدها التليد، وإحياء حضارتها الراقية من جديد؟!!

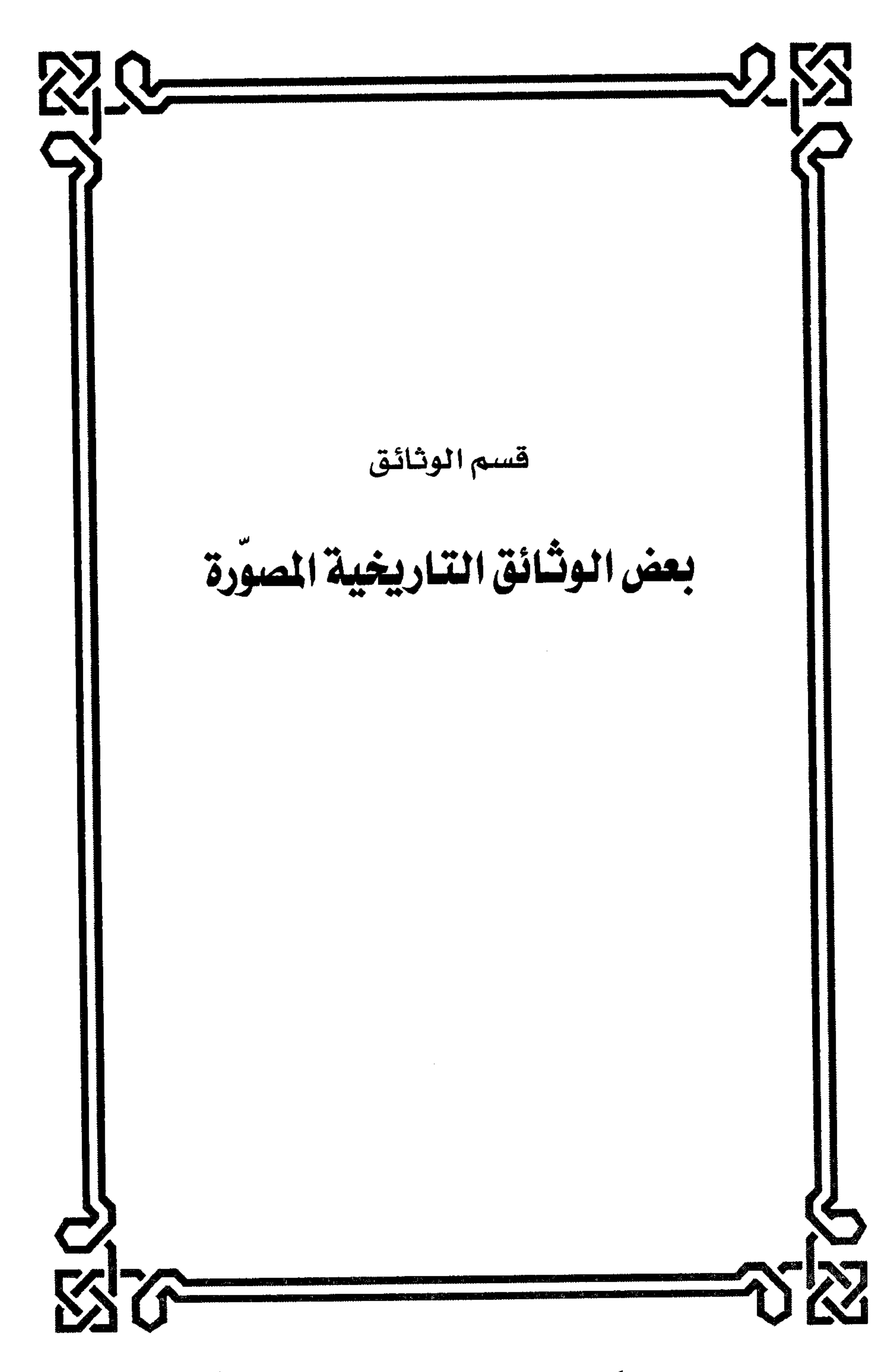
اللّهمّ إنّا نشكو إليك فقد نبينا صلواتك عليه وآله، وغيبة ولينا، وكثرة عدونا، وقلة عددنا، وشدة الفتن بنا، وتظاهر الزمان علينا، فصل على محمد وآله، وأعنّا على ذلك بفتح منك تعجله، وبضر تكشفه، ونصر تعزه، وسلطان حق تظهره..

اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن، صلواتك عليه وعلى آبائه، في هذه الساعة وفي كل ساعة، ولياً وحافظاً، وقائداً وناصراً، ودليلاً وعيناً حتى تسكنه أرضك طوعاً، وتمتعه فيها طويلاً، برحمتك يا أرحم الراحمين.

جلال معاش

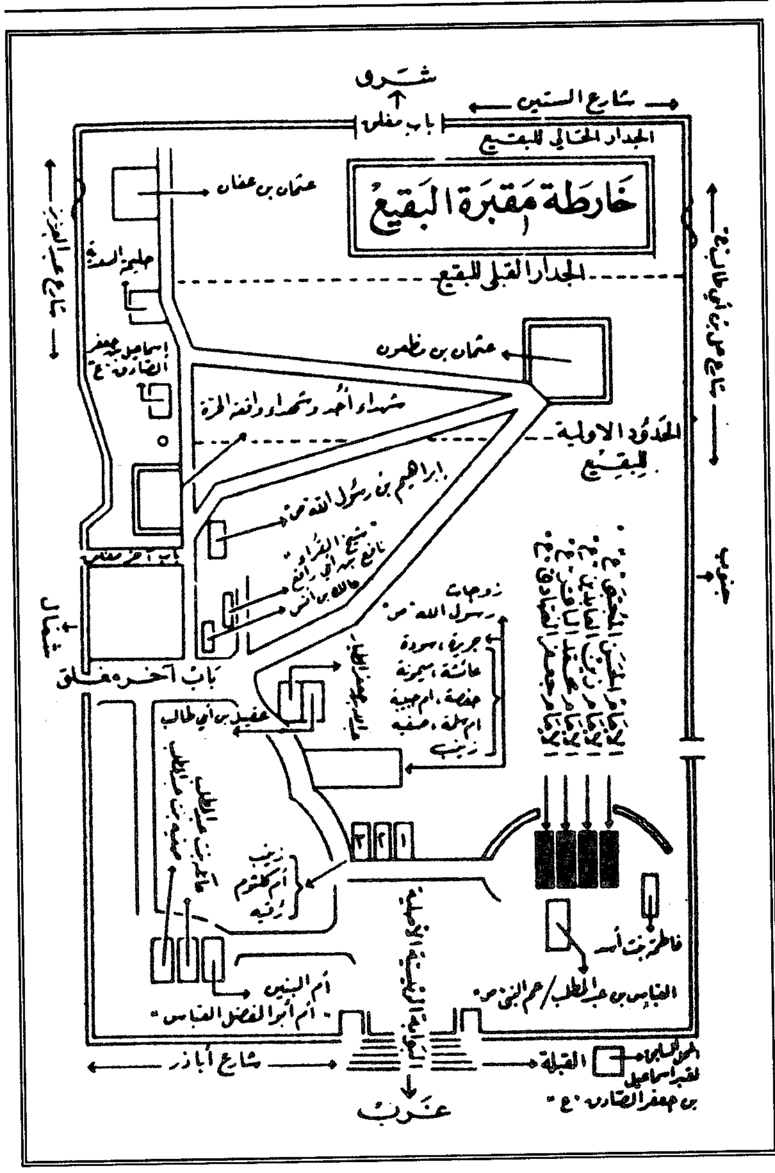
دمشق - السيدة زينب عليها السلام

١٥ شعبان ١٤٢٦هجرية



قسم الوثائق

بعض الوثائق التاريخية المصوّرة

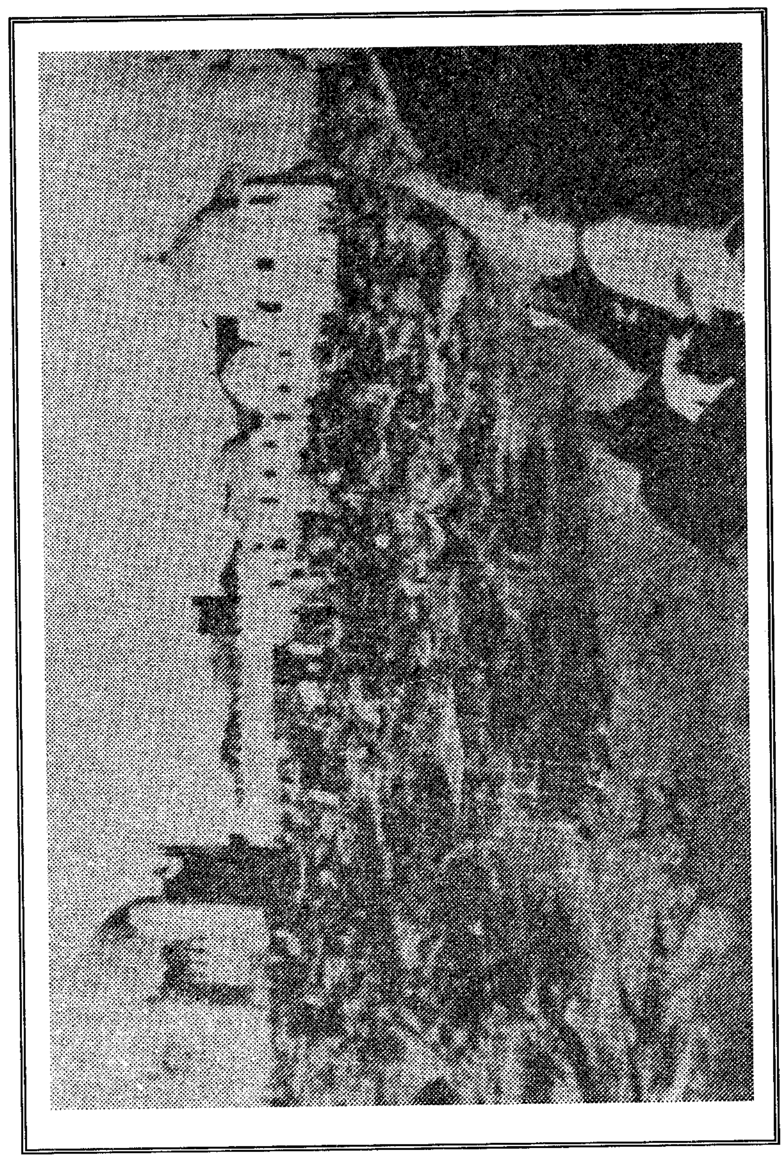


خارطة مقبرة البقيع الغرقد

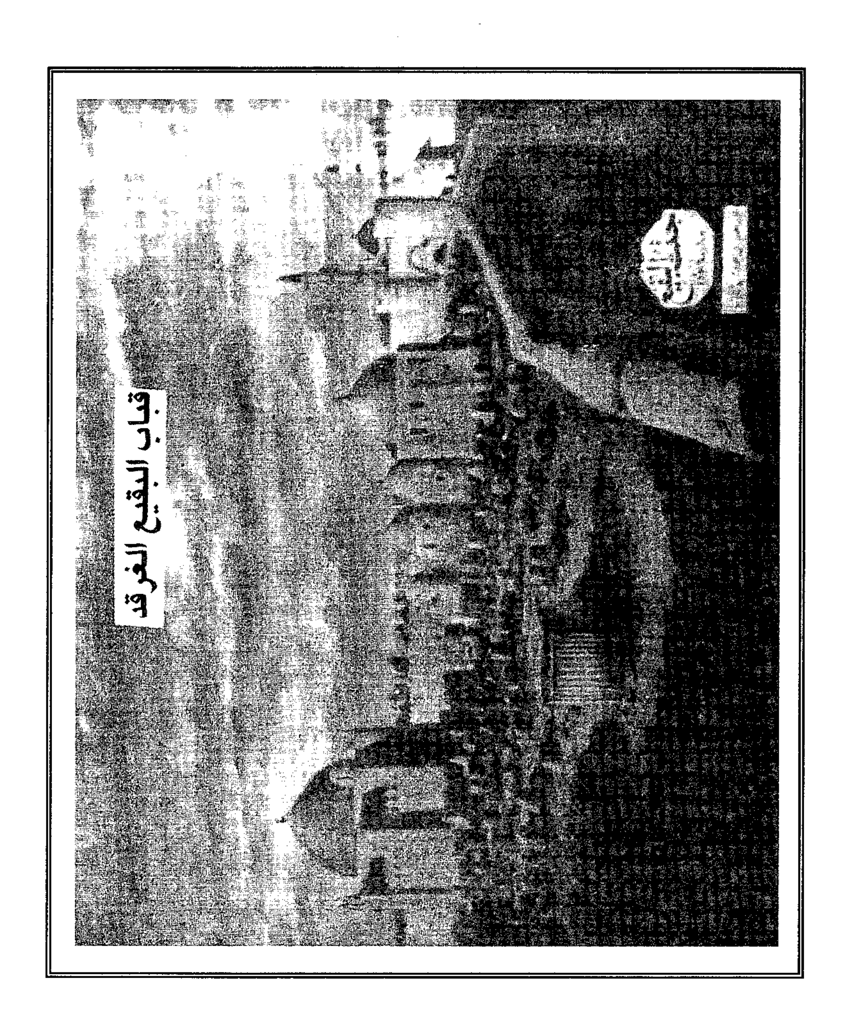


صورة لبقيع الغرقد في العهد العثماني

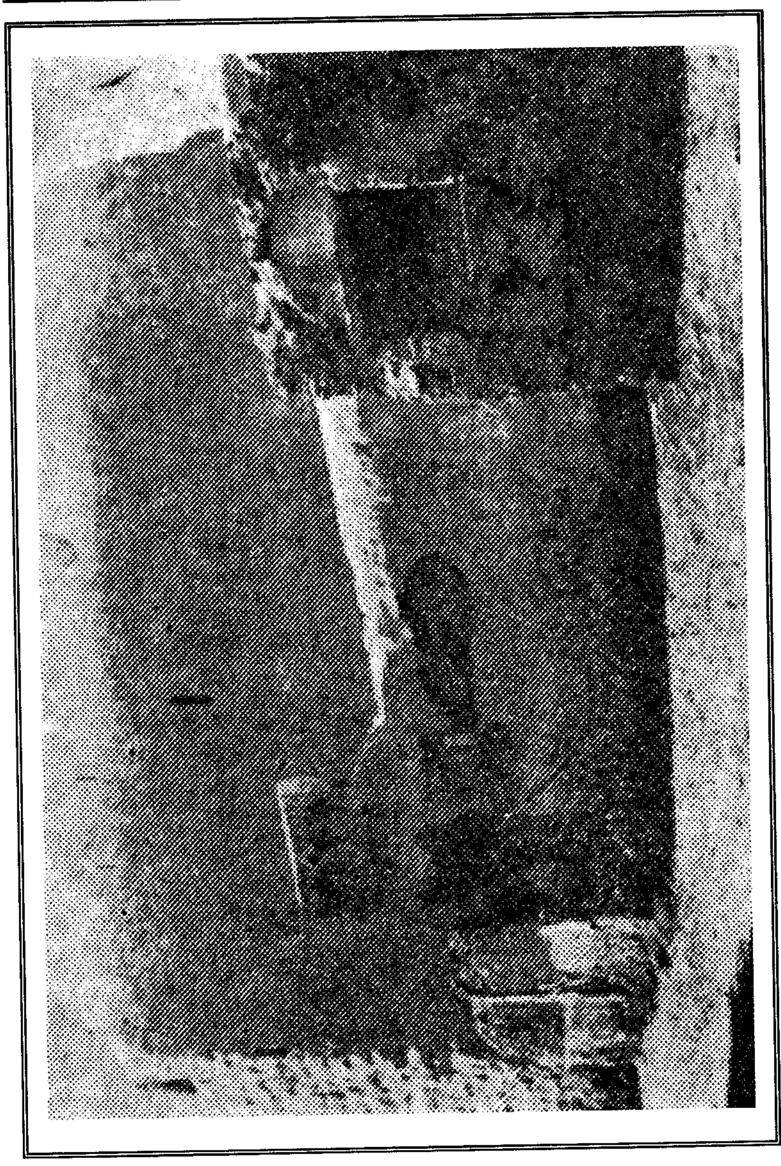
(أخذت الصورة في عام ١٣٢٧ هجري)



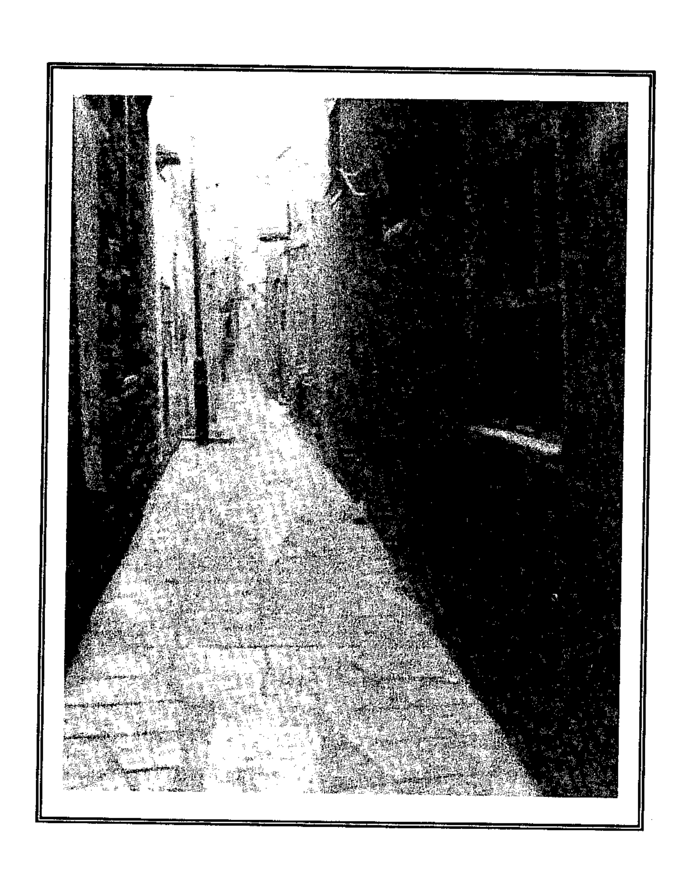
صورة لمقبرة البقيع قبل الهدم



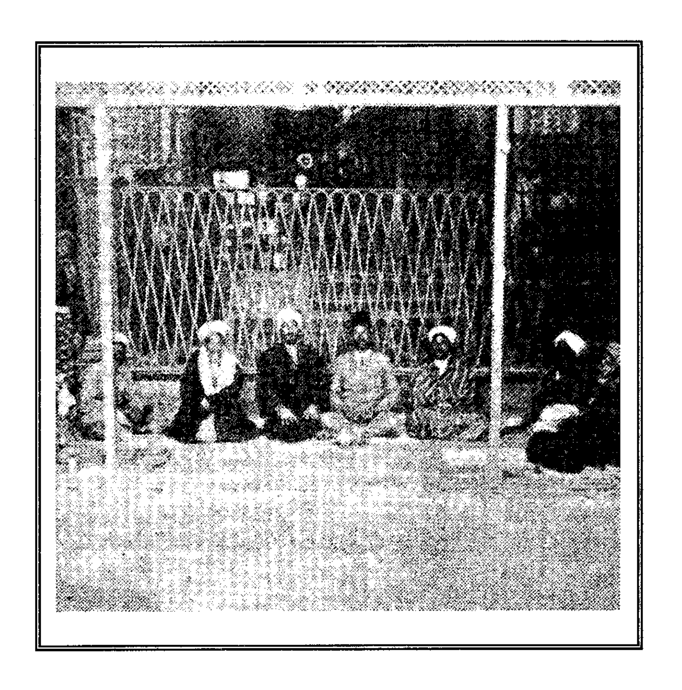
صورة لمقبرة البقيع قبل الهدم



صورة لمكان سقيفة بني ساعدة قبل الهدم

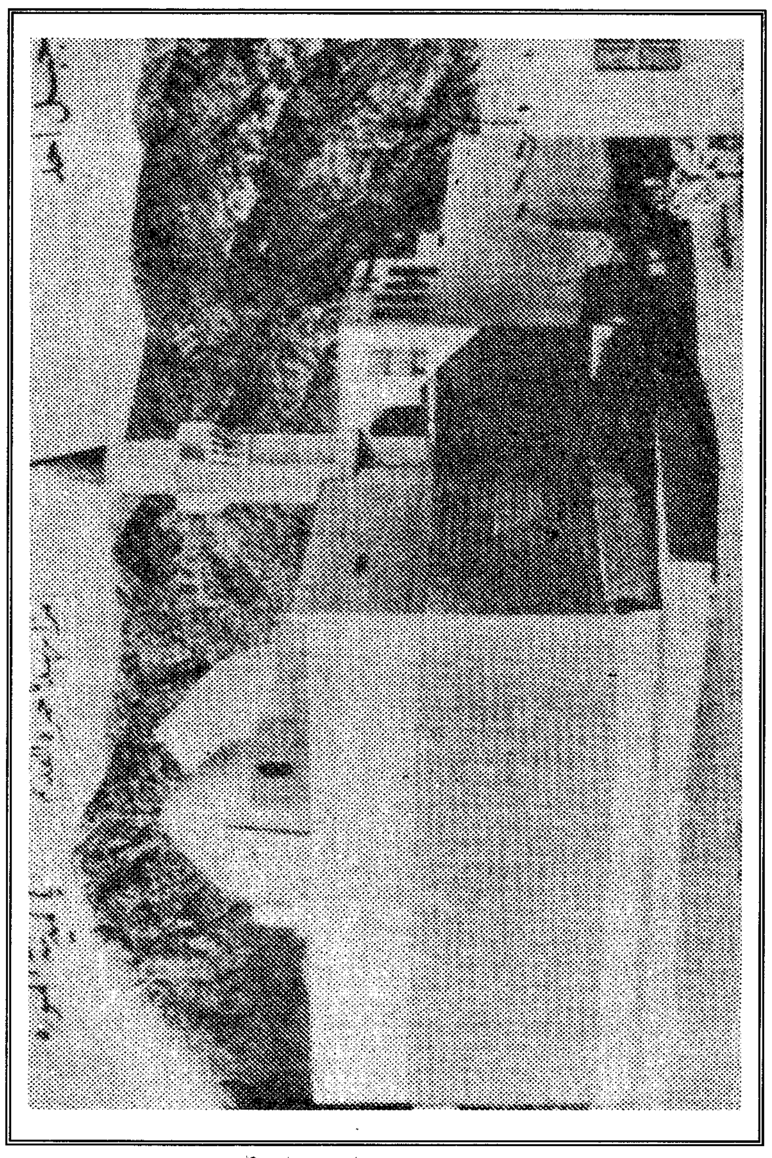


محلّة بني هاشم وبيوت بعض الصحابة قبل الهدم

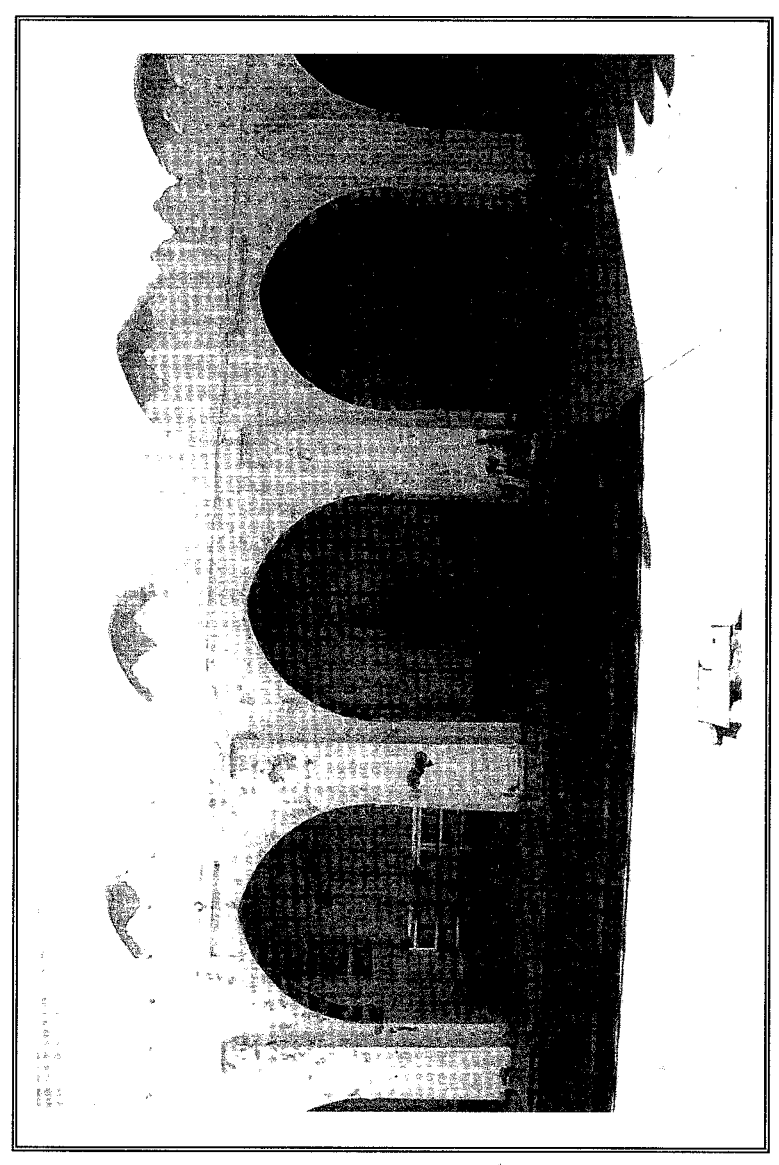


منظر ضريح عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم

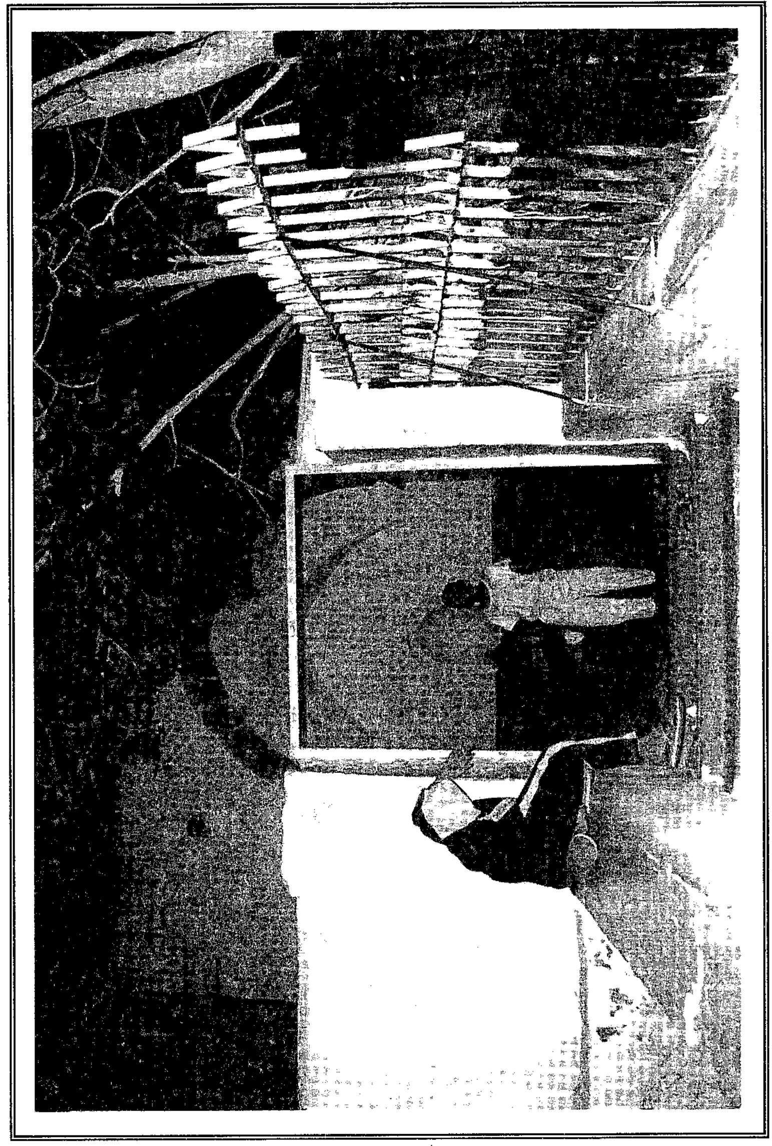
حمزة بن عبد المطلب عليه السلام قبل الهدم



صورة لمسجد عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم
حمزة بن عبد المطلب عليه السلام قبل الهدم

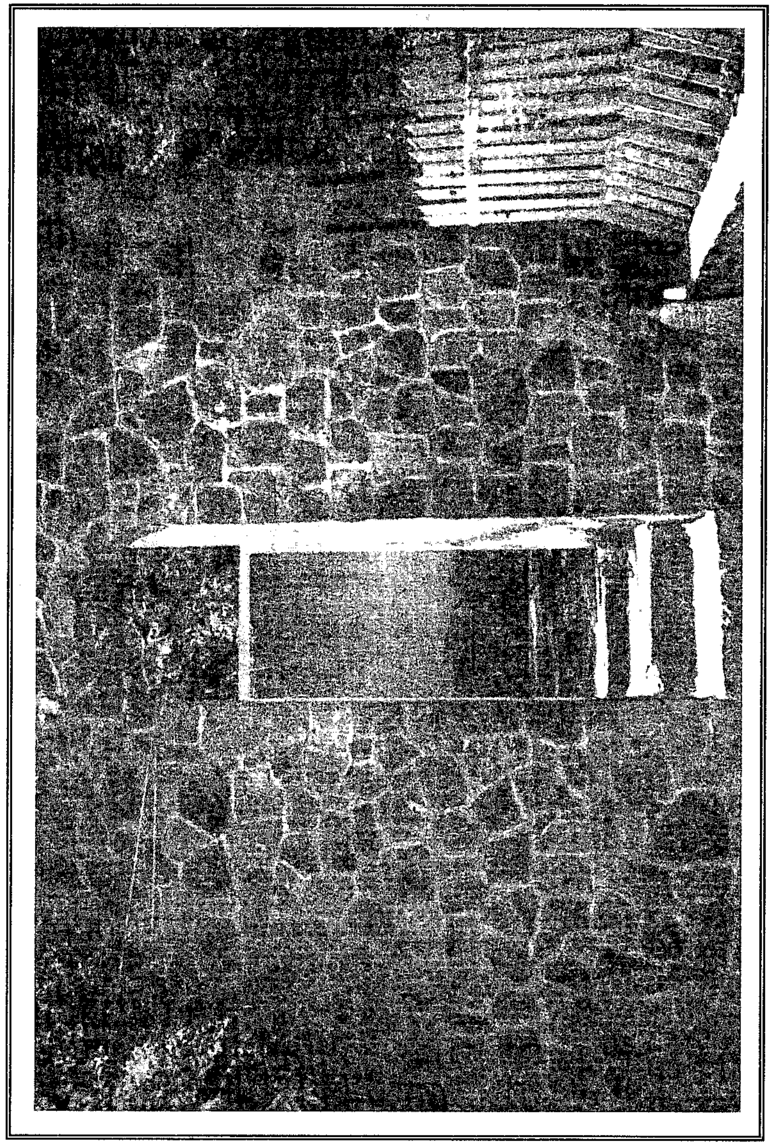


مسجد ردّ الشمس (الفضيخ) قبل الهدم



مسجد عليّ بن أبي طالب عليه السلام

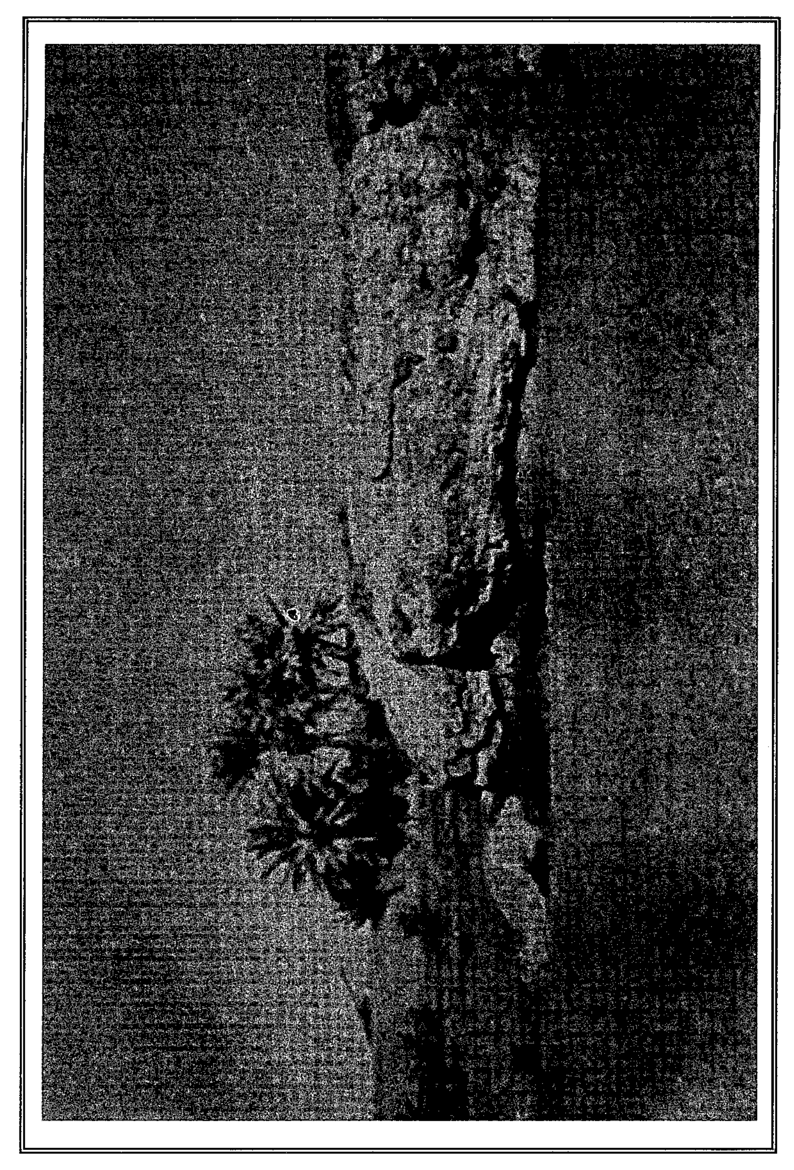
إحدى المساجد السبعة في المدينة المنورة قبل أن يُغلق من قبل الوهابية



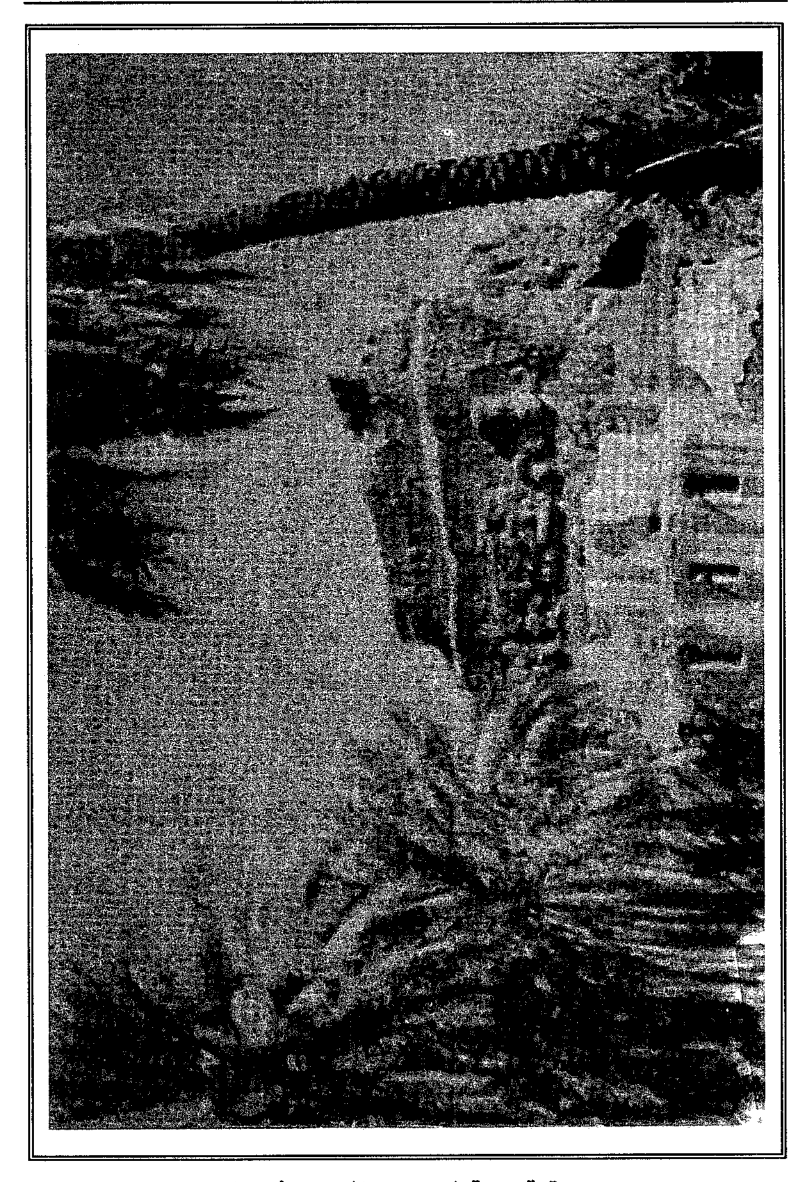
مسجد فاطمة الزهراء عليها السلام

إحدى المساجد السبعة في المدينة المنورة قبل أن يُغلق من قبل الوهابية

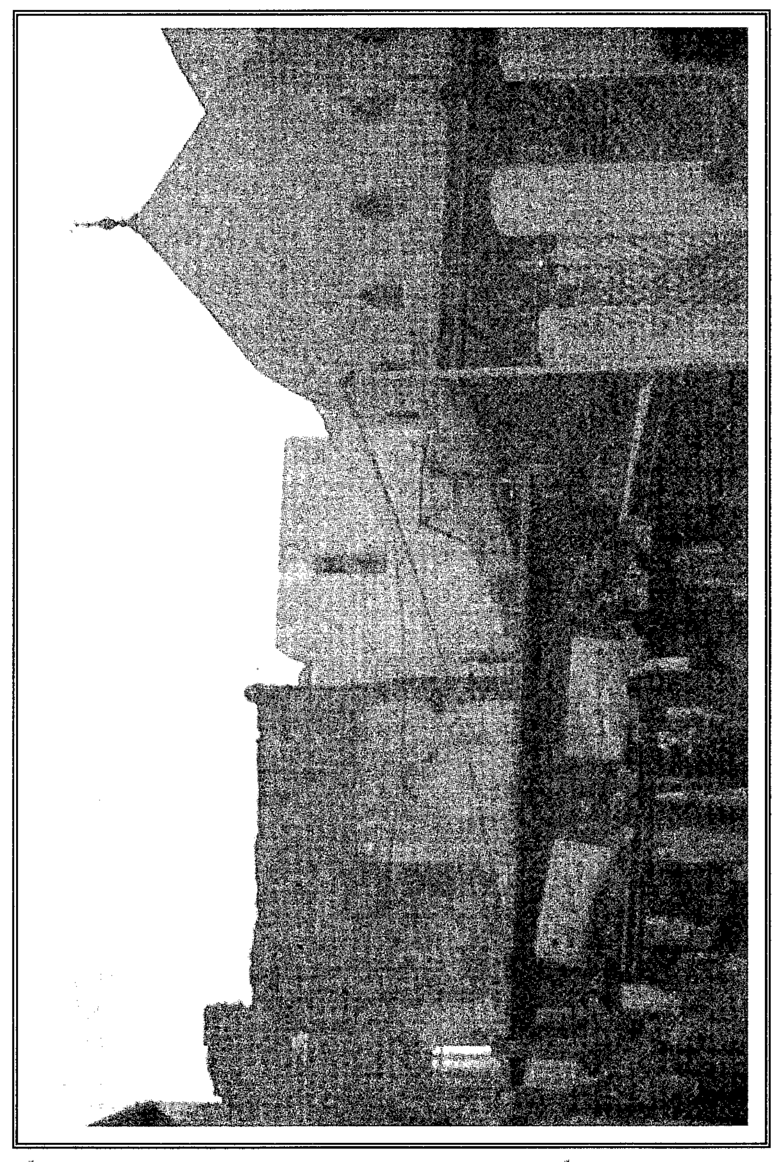
قبر ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قبل الهدم



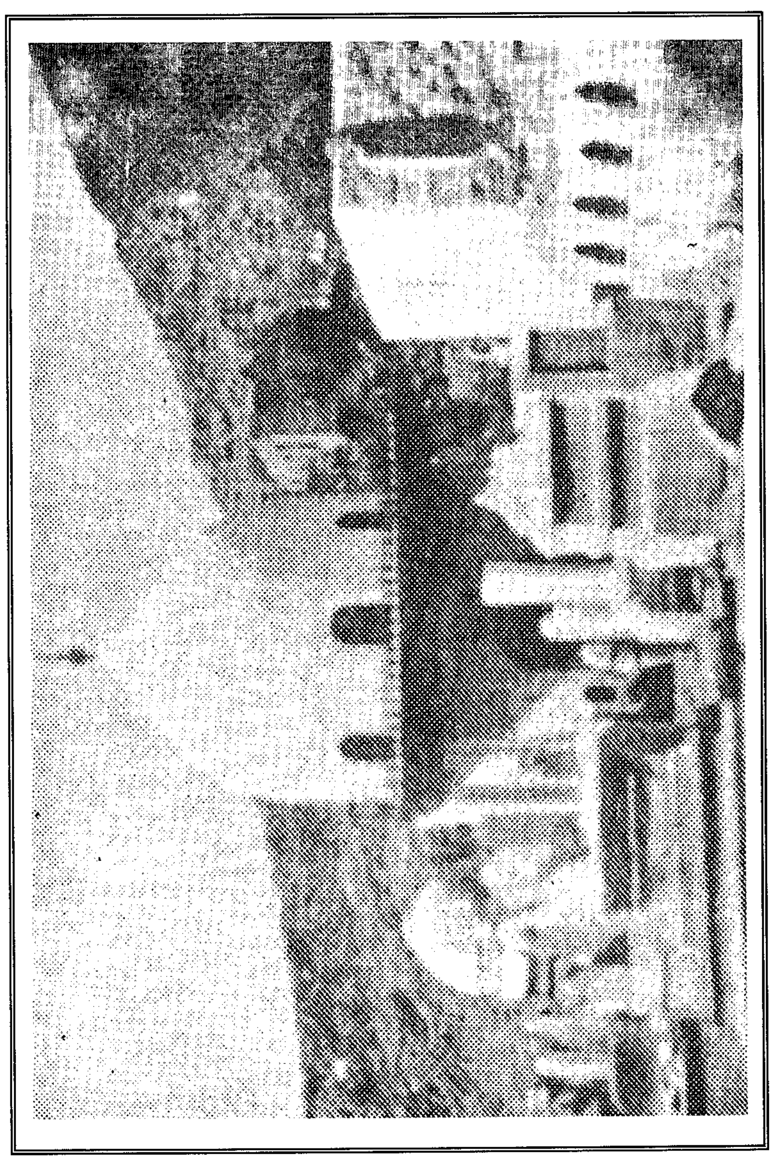
صورة قديمة لموقع غدير خم



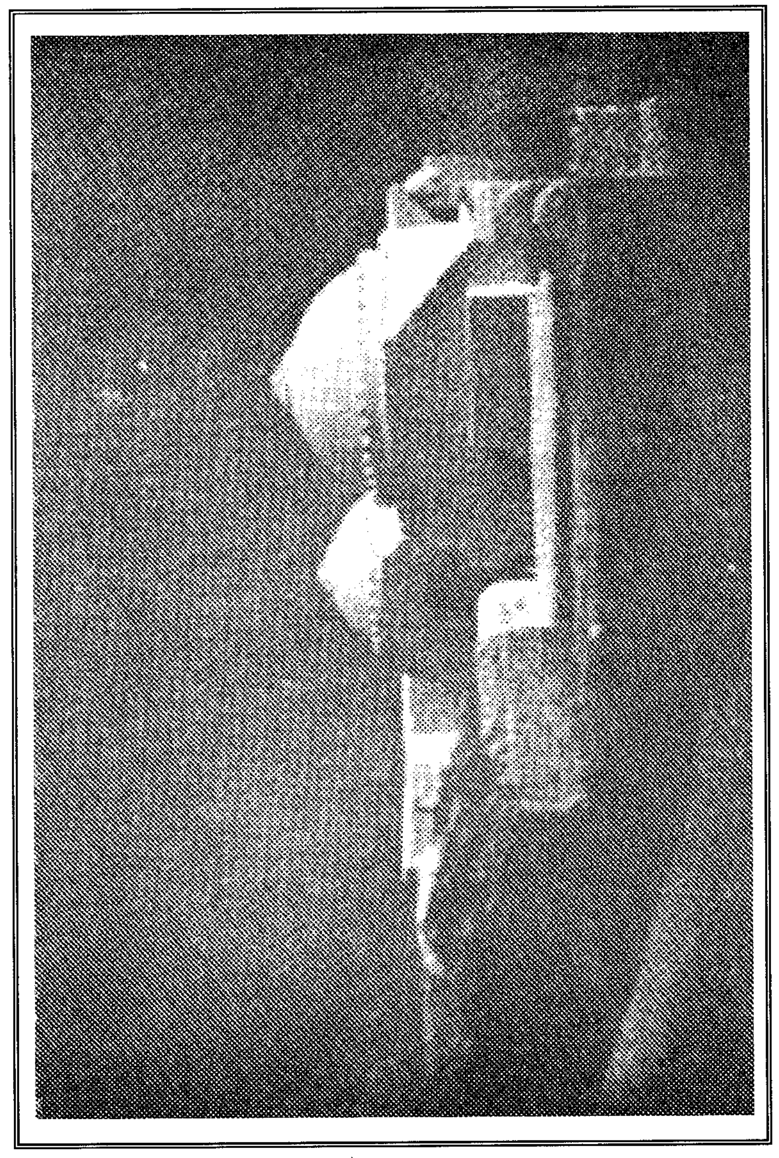
صورة قديمة لحصون اليهود في خيبر



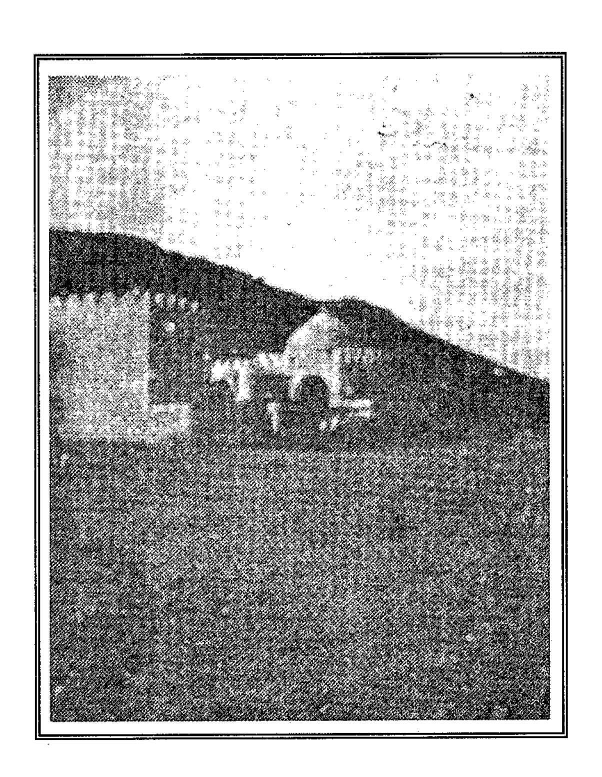
صورة لدار أبي أيّوب الأنصاري (رضوان الله عليه) حيث يعلوها قبّة بيضاء وإلى جانبها بيت ومدرسة الإمام جعفر الصادق عليه السلام



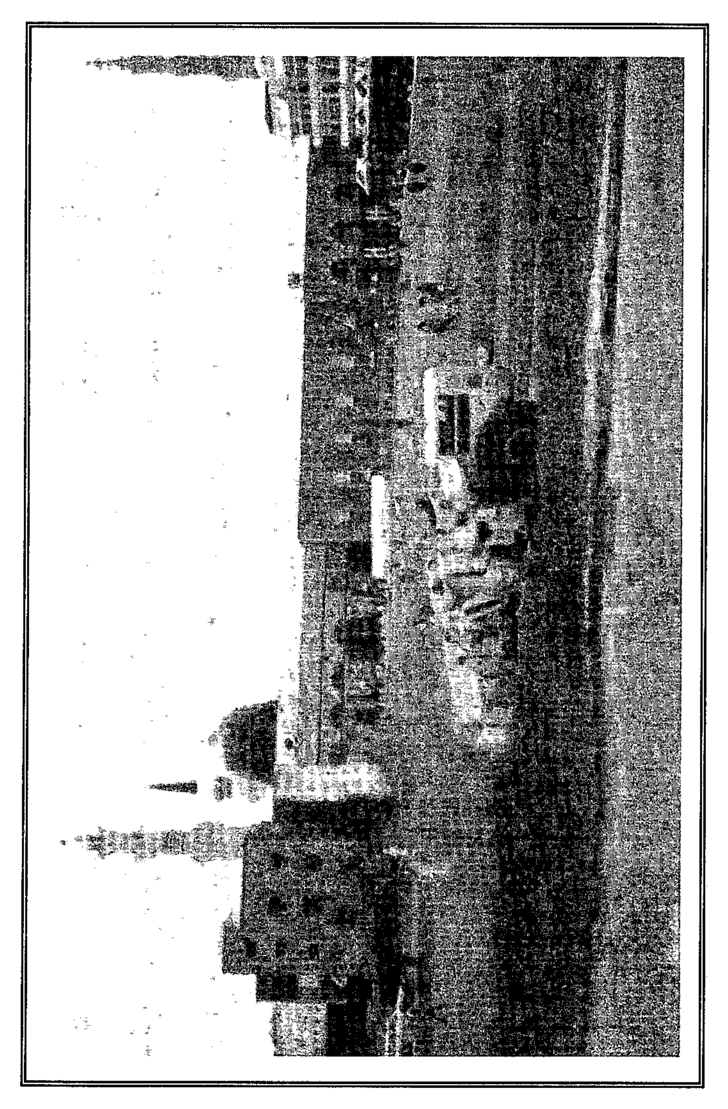
صورة لقبر السيدة خديجة عليها السلام بالحجون في مكة المكرمة قبل الهدم



صورة لأضرحة أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعمه أبي طالب عليه السلام
بالحجون في مكة المكرمة قبل الهدم

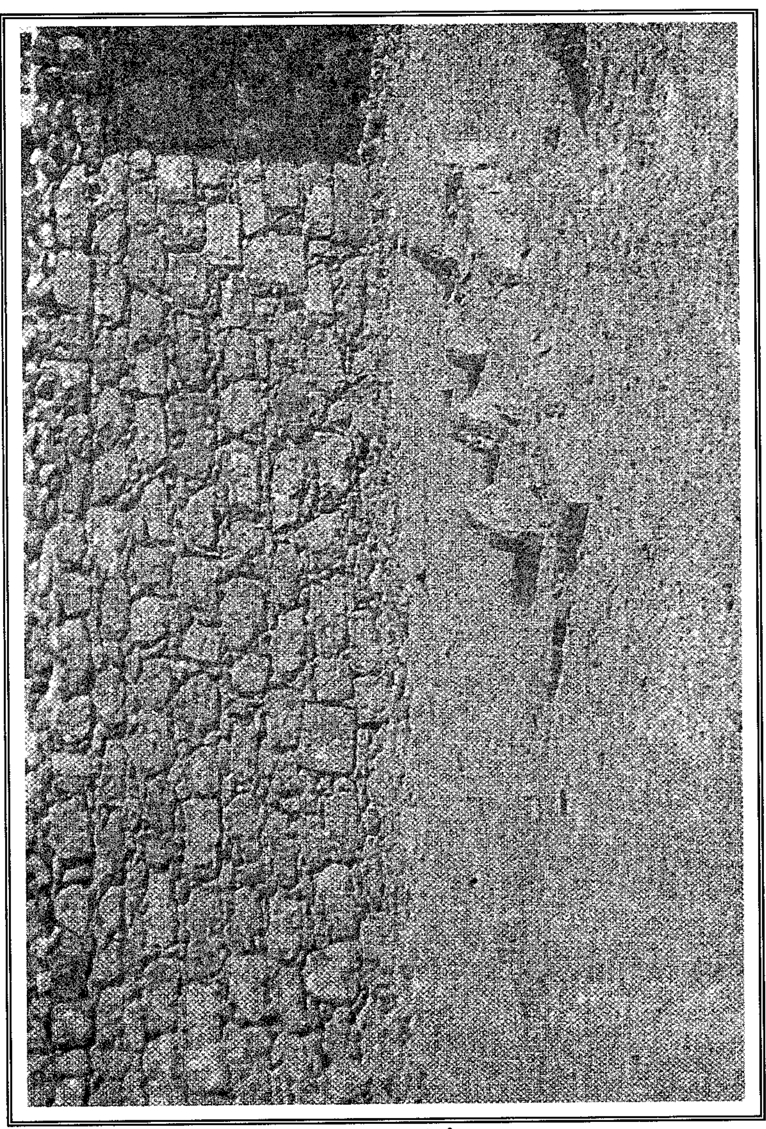


صورة لمقام السيدة ميمونة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم
بين مكة والمدينة قبل الهدم

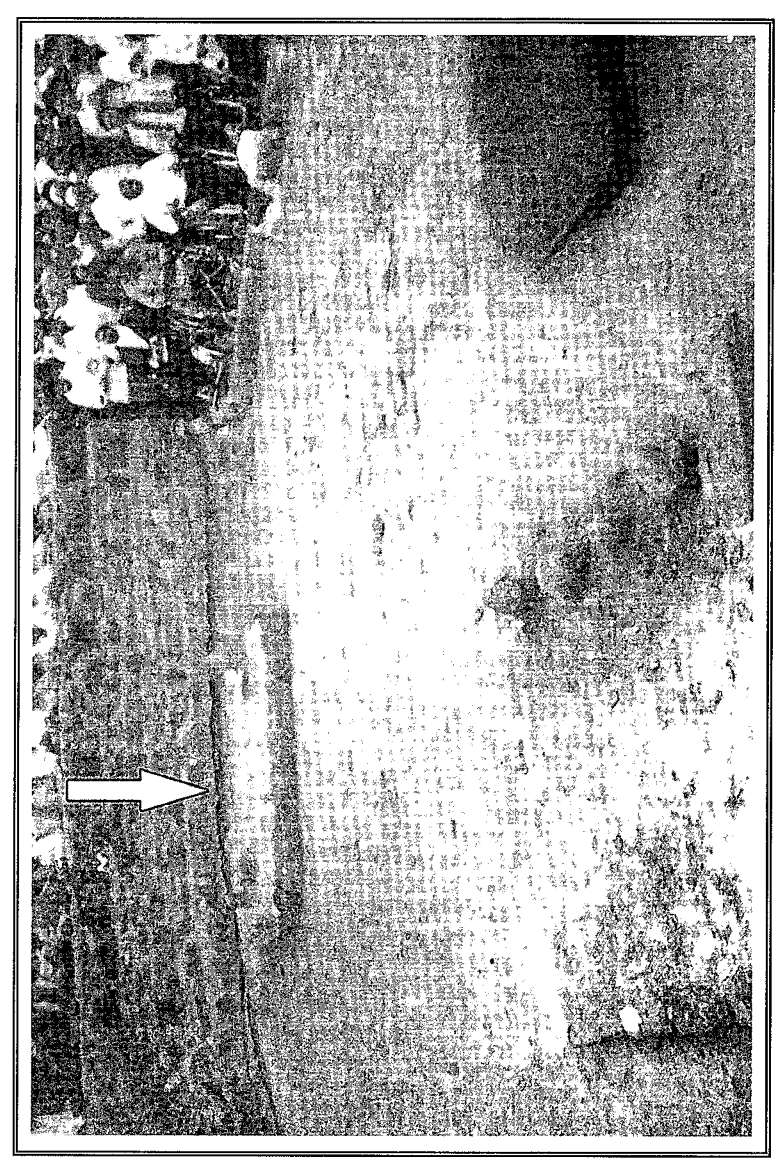


مكان محلّة بني هاشم بعد أن أزيلت

وآلات الهدم مستمرّة بالتخريب

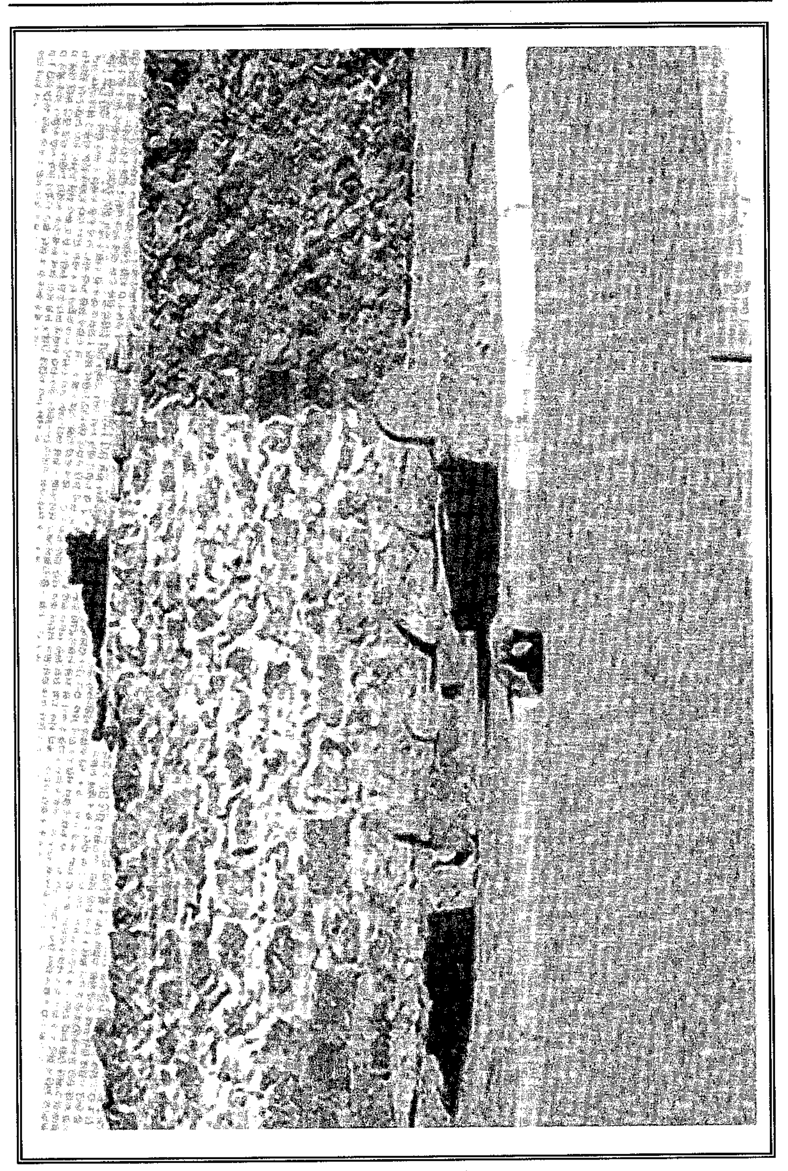


صورة قريبة لقبور أئمة البقيع عليهم السلام: (١) الإمام الحسن بن علي المجتبى عليه السلام (٢) الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام (٣) الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام (٤) الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

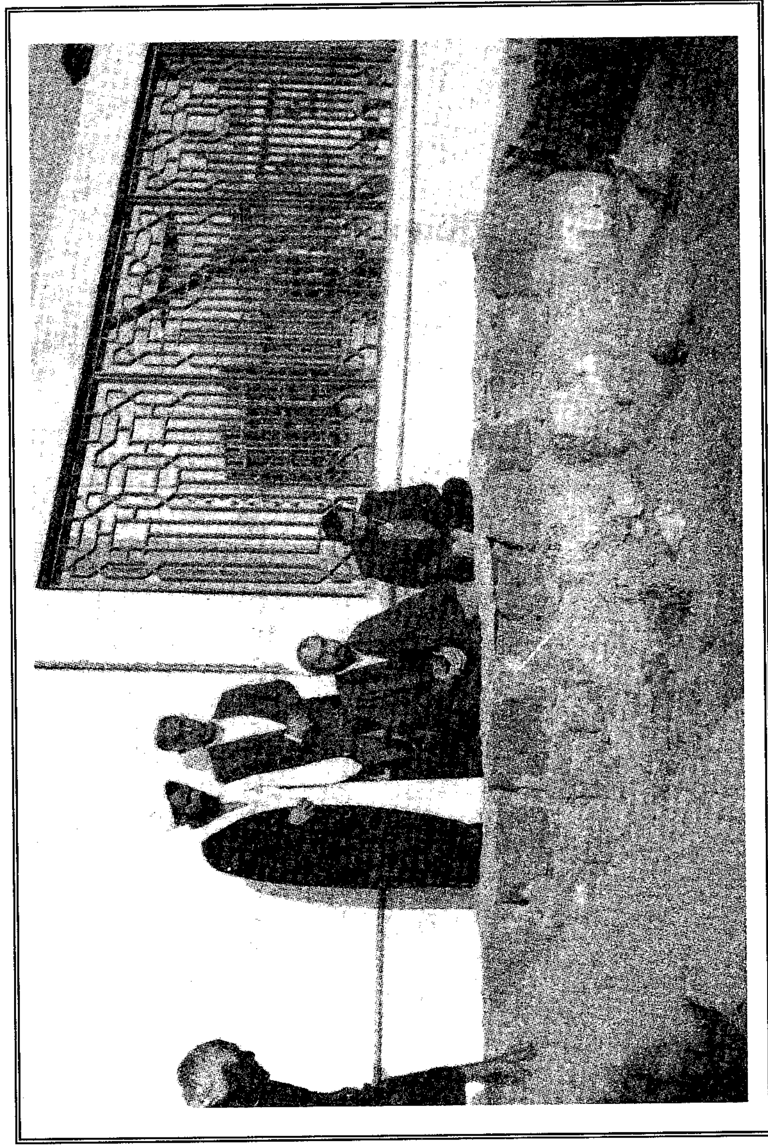


صورة لقبر السيدة فاطمة بنت أسد والدة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

حيث يقع بجوار قبر الأئمة الأربعة عليهم السلام

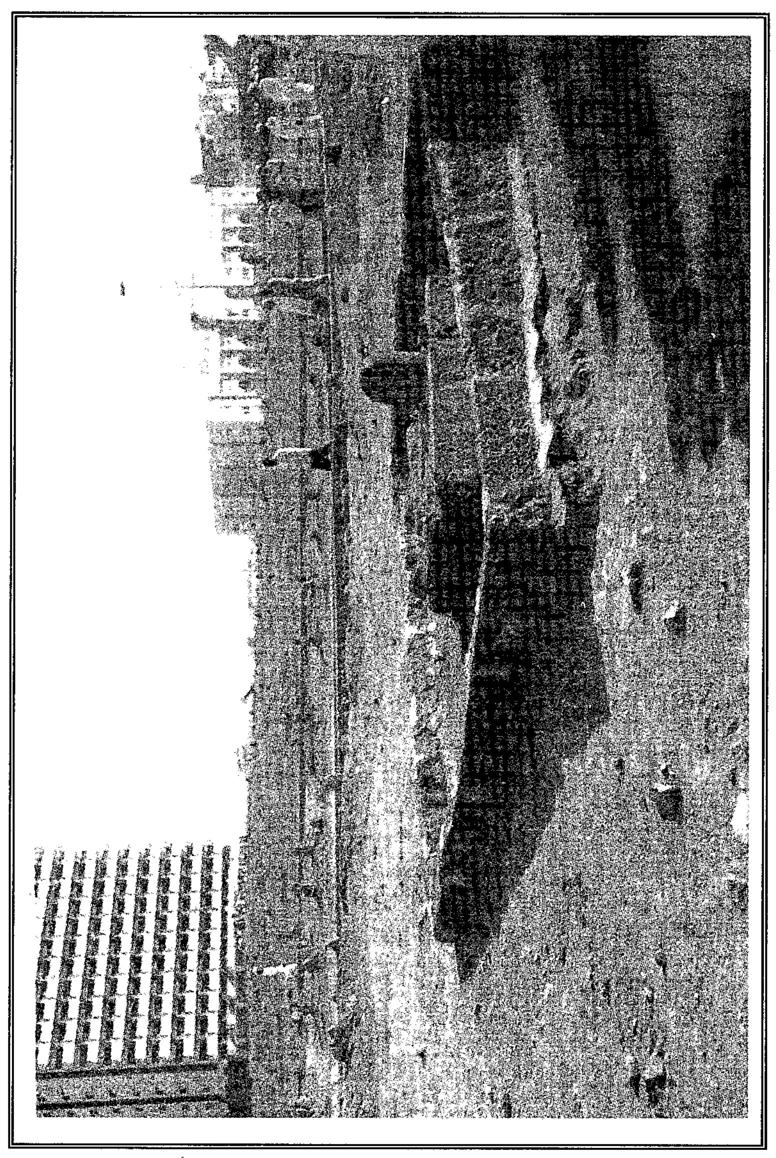


قبر العباس عمّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويظهر خلفه قبور أئمة البقيع عليهم السلام

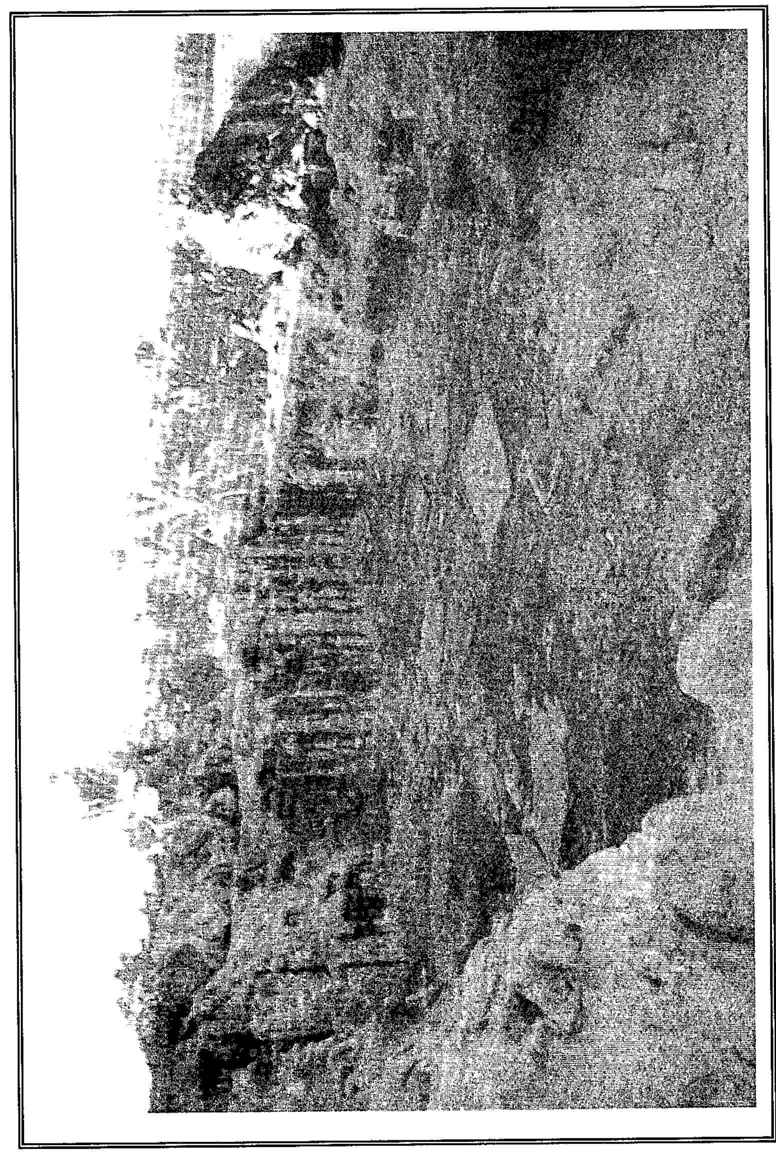


قبور عمّتي النبي ﷺ (صفية وعاتكة)

وأم البنين زوجة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

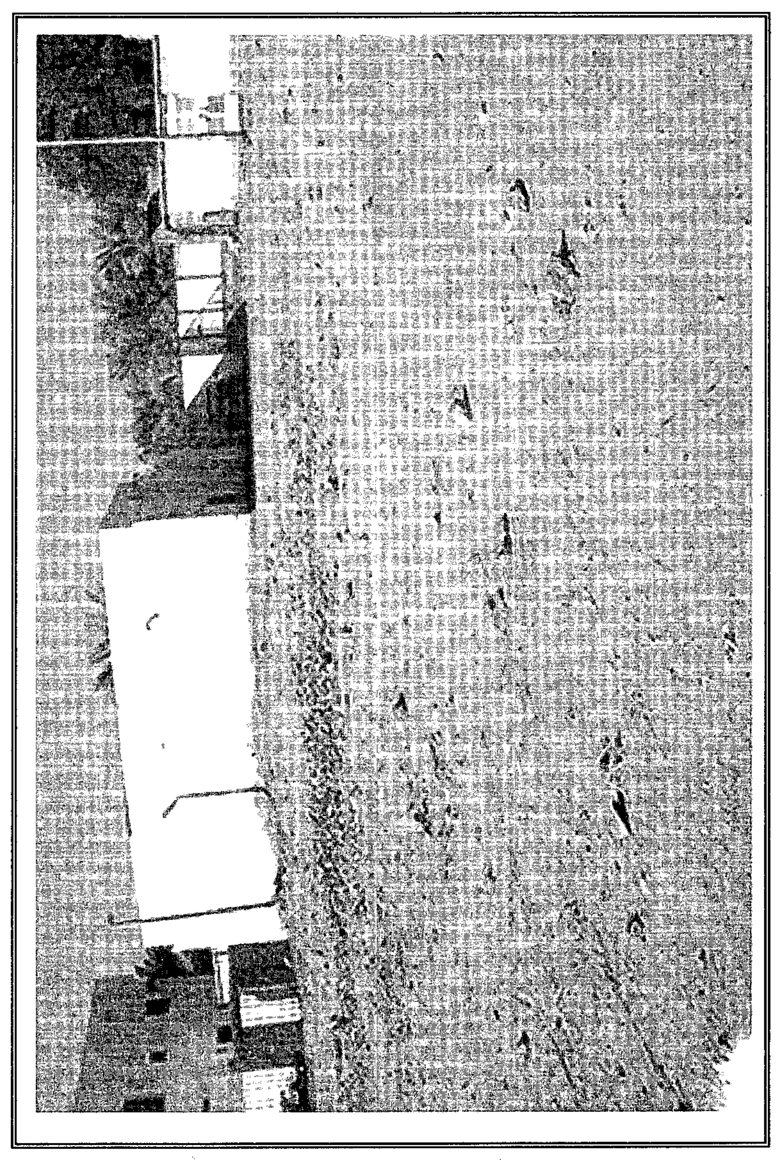


قبر إبراهيم بن رسول الله ﷺ في البقيع الغرقد بعد الهدم

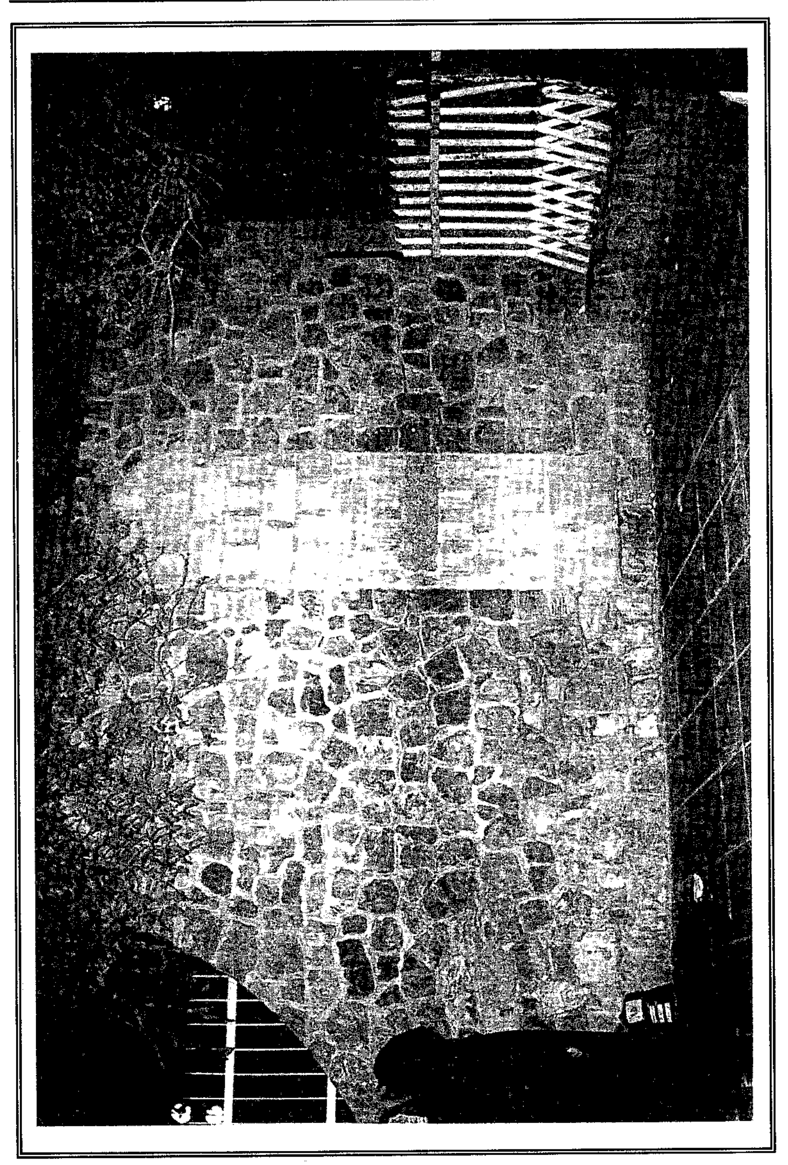


صورة لبقايا مسجد بيت الأحزان للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

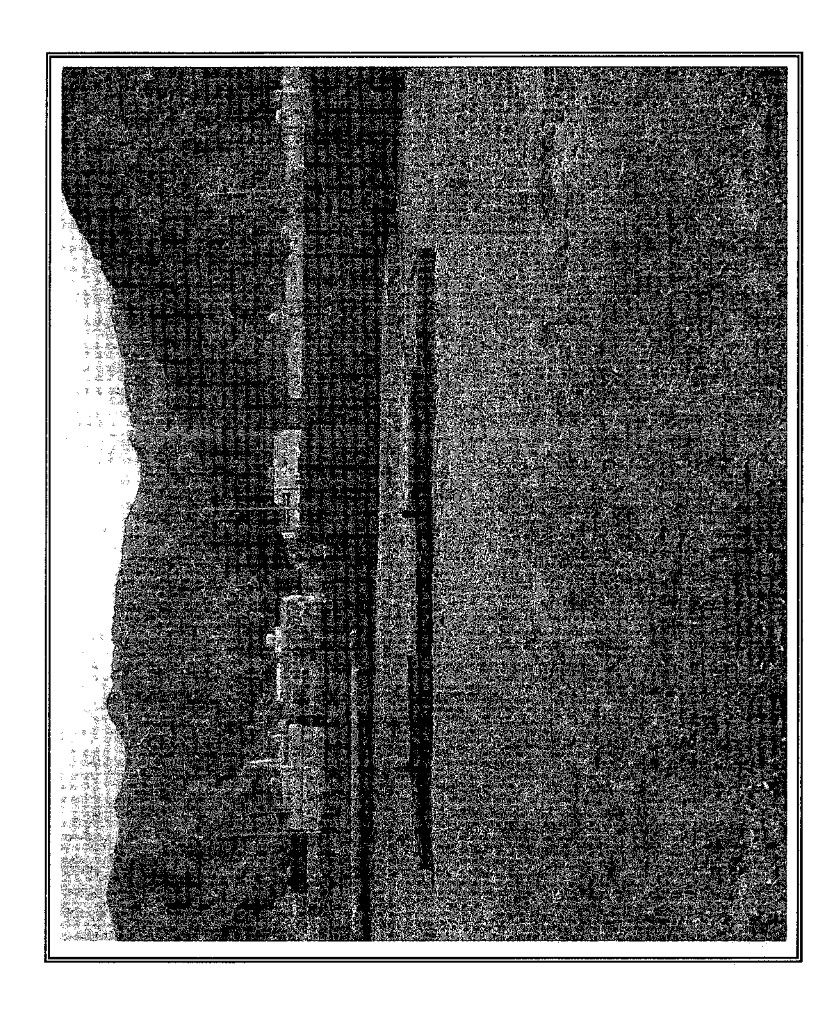
بعد الهدم



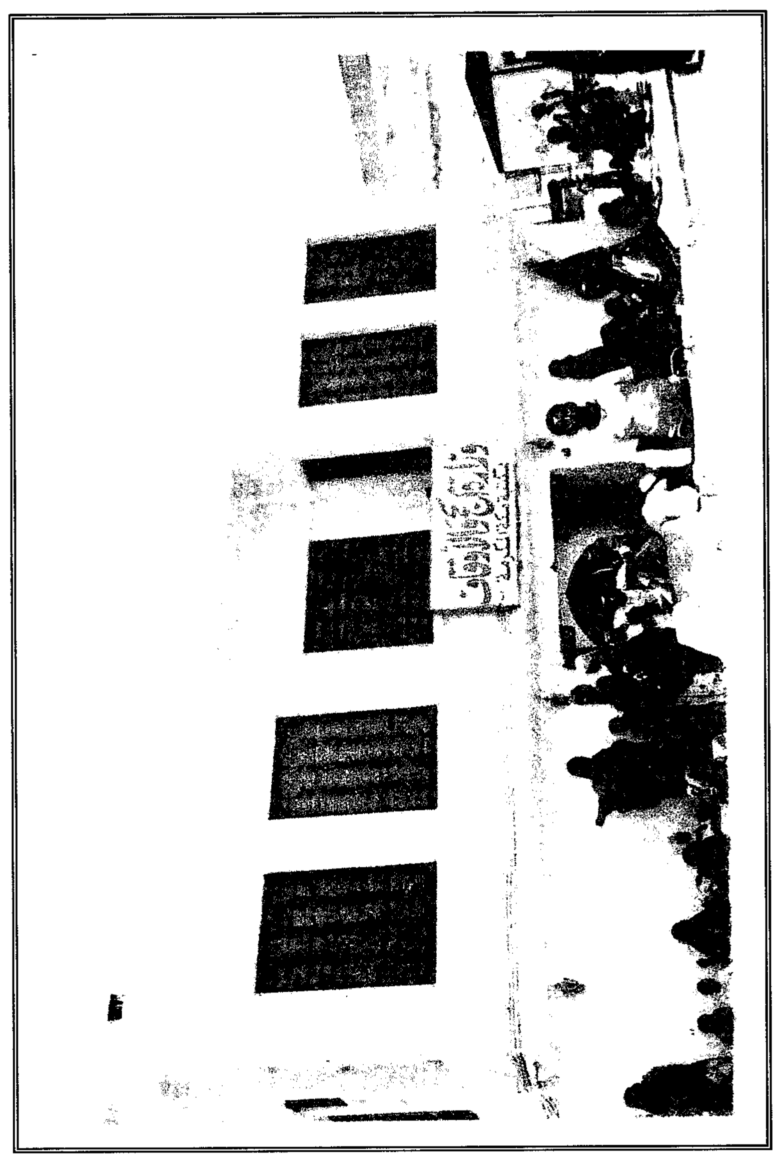
مسجد ردّ الشمس (الفضيخ) بعد الهدم



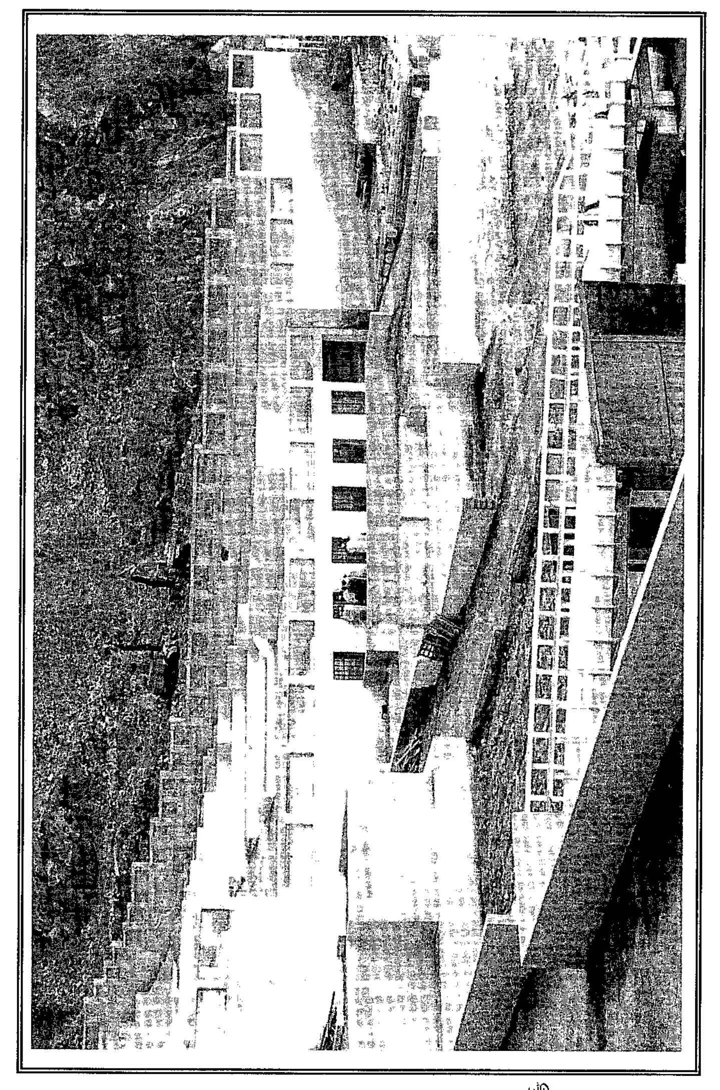
مسجد فاطمة الزهراء عليها السلام بعد أن تمّ غلقه بالبناء



قبر حمزة بن عبد المطلب عليه السلام عم النبي صلى الله عليه وآله، وشهداء أحد بعد الهدم



محلّ ولادة النبي محمد ﷺ الذي حوّله الوهّابيون إلى مكتبة مكة المكرمة، وهي على مسافة قريبة من المسجد الحرام

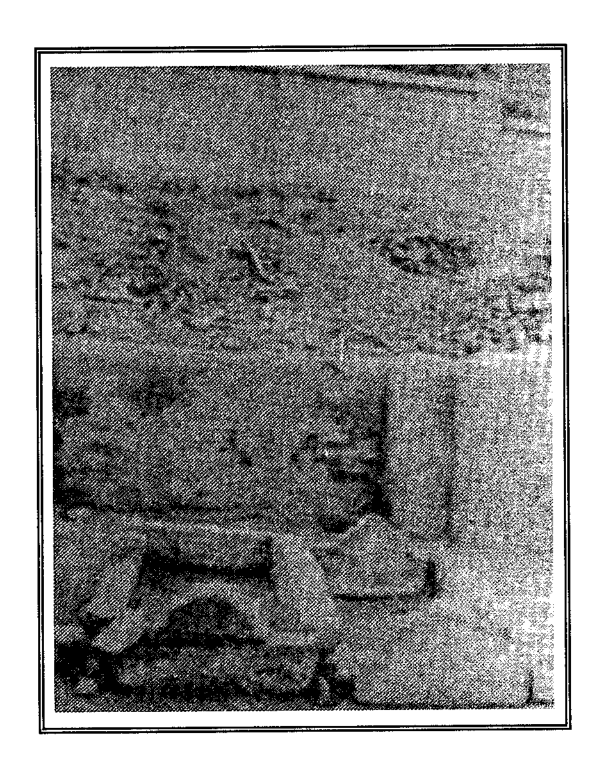


قبور آل الرسول ﷺ في منطقة الحجون (جنة المعلى) بعد الهدم وهم:

(١) عبد المطلب جد النبي ﷺ. (٢) عبد مناف جد النبي ﷺ.

(٣) أبو طالب عم النبي ﷺ. (٤) السيدة خديجة عليها السلام زوجة النبي ﷺ.

(٥) السيدة آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ.



صورة لقبر السيدة خديجة عليها السلام

بالحجون في مكة المكرمة بعد الهدم

المصادر

١- القرآن الكريم.
٢- مفاتيح الجنان.
٣- الإرشاد: للمفيد - مؤسسة الأعلمي - بيروت.
٤- بحار الأنوار: للعلامة المجلسي - المكتبة الإسلامية - طهران، مع طبعات متنوّعة.
٥- البقيع: يوسف المهاجري - مؤسسة البقيع لإحياء التراث - بيروت.
٦- البقيع الغرقد: محمد الشيرازي - مؤسسة الإمامة - بيروت.
٧- البقيع المنور: المنظمة العالمية للدفاع عن الأماكن المقدسة - لندن.
٨- التاريخ الأمين: عبد العزيز المدني - مطبعة الأمين.
٩- التوحيد والشرك في القرآن الكريم: جعفر السبحاني - مؤسسة الفكر الإسلامي - بيروت.
١٠- الحاج في الحرمين: علي حيدر المؤيد - دار العلوم - بيروت.

١١- الحج قبل مائة سنة: يغيم ريزفان - دار التقريب - بيروت.
١٢- سنن ابن ماجة: ابن ماجة القزويني - دار الفكر - بيروت.
١٣- سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي.
١٤- السلفية الوهابية : لحسن بن علي السقاف - دار الإمام الرواس.
١٥- شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١٦- صحيح بن حيان.
١٧- صحيح البخاري: مؤسسة الخدمات الطباعية - بيروت.
١٨- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري - مؤسسة عز الدين - بيروت.
١٩- فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد: محمد كاظم القزويني - الوفاء - بيروت.
٢٠- قبور أئمة البقيع قبل تهديمها: للسيد عبد الحسين الحيدري - دار السلام - بيروت.
٢١- الكامل في التاريخ: ابن الأثير - دار صادر - بيروت.
٢٢- كشف الغمة: للأربلي - المكتبة الإسلامية - طهران.
٢٣- مستدرك الوسائل: للمحدث النوري.
٢٤- كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب: محسن الأمين - الطبعة الخامسة (القديمة).

٢٥- مسند أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل - دار الفكر - بيروت.

٢٦- معالم مكة والمدينة: يوسف رغدا العاملي - دار المرتضى - بيروت.

٢٧- معلومات مهمة عن الدين: إعداد: محمد جميل زينو - مركز الدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية.

٢٨- مناسك الحج والعمرة: للألباني.

٢٩- مناقب آل أبي طالب: لابن شهر آشوب - علامة - قم.

٣٠- موسوعة العتبات المقدسة: جعفر الخليلي - مؤسسة الأعلمي - بيروت.

٣١- المهدم من آثار المدينة المنورة: عمر عبد القادر المغربي - مؤسسة منشورات الحج.

٣٢- نصيحة لإخواننا علماء نجد: يوسف بن هاشم الرفاعي - دار اقرأ - دمشق.

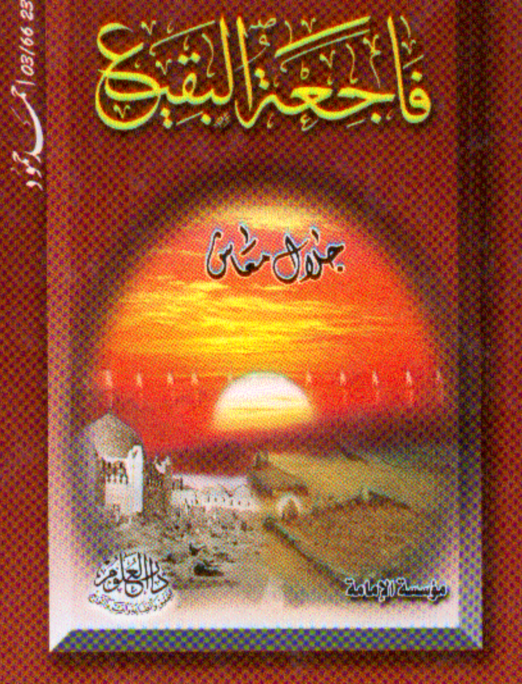
٣٣- وسائل الشيعة: للحر العاملي.

٣٤- وفاء الوفاء.

٣٥- الوهابية وأصول الاعتقاد: محمد جواد البلاغي.

٣٦- يوم البقيع: حسن الصفار - مؤسسة البقيع - لإحياء التراث.

الفهرس


فاجعة البقيع
جلال معاش
دار العلوم
مؤسسة الإمامة


دار العلوم
للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع
حارة حريك - بئر العبد - شارع السيد عباس الموسوي
تلفاكس :٠١/٥٤٥١٨٢-٠٣/٤٧٣٩١٩
هاتف :٠١/٥٤١٦٥٠-ص.ب:١٣/٦٠٨٠
www.daraloloum.com
E-mail:info@daraloloum.com


9953352531238